عقيدة

الصلب والفداء

منقولة عن مجلة المنار



(الطبعة الاولى)

طبعت بمطبعة المنار بمصر

سنة ١٣٣١ هـ ق ١٢٩١ هـ ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للاسلام ، الذي هو دين جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأكمل هذا الدين ، ببعثة نبينا محمد خاتم النبيين والمرسلين ، عليه أفضل الصلاة والتسليم ، وأنزل عليه القرآن الحكيم ، مهيمنا على الكتب السالفة التي اعتورها التبديل والتحريف ، حتى غلبت الوثنية على التوحيد ، والتشبيه على التنزيه ، فحجبت الامم بمظاهر الخلق ، عن معرفة الحق ، فمنهم من عبد الحجر والشجر ، ومنهم من عبد الثعابين والبقر ، ومنهم من عبد الشمس والقمر ، ومنهم عبد البشر ، (١٠: ١٨ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون)

نحمده تعالى أن كرمنا بالتوحيد ، حتى لا نمتهن أنفسنا بعبادة أمثالنا من العبيد ، افتتانا بما آتاهم الله من علم غريب ، أو عمل عجيب ، فان المزية ، لاتخرجهم عن صفة العبودية (٤: ١٧١ لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون)

ظهر الاسلام ، فنسخ نوره كل ظلام ، في كل شعب ظهرت له آيته ، وكل أرض بلغتها دعوته ، فدخل الناس فيه أفواجا ، فكان لهم ما أقاموه سراجا وهاجا ، حتى كان حكمهم فوق كل حكم ، وعلمهم أوسع من كل علم ، ثم ان أهله هجروا كتابه ، وجفوا سنته ، وترك علماؤهم الدعوة اليه ، وحكامهم الحكم به ، فابتدعت عامتهم فيه ، فدالت الدولة لاعدائهم ، حتى اذا ما أزالوا ملكهم ، وغلبوهم فيما بقي لهم على أمرهم ، طمعوا في ارجاعهم عن دينهم ، فتألفت البعثات الدينية والعلمية في الممالك الكبرى لاجل ذلك ، وأرصدت لها الملايين من الجنيهات للنفقة عليه ، فهم يجتهدون في تشكيك المسلمين في دينهم أولا ، وفي جذبهم الى النصرانية ثانيا ، يبثون ذلك في المدارس والمستشفيات ، وينشرونه في الكتب والرسائل والمجلات ، ويخطبون به في الاندية والجمعيات ، ومن ورائهم الدول النصرانية تحميهم ببأسها ، وتمدهم بنفوذها ،

هذا التقصير العام من المسلمين كلهم ، حكامهم ومحكوميهم ، قد أوجب علينا أن نؤلف جماعة الدعوة والارشاد لتربية أمة تدعو الى دين الله الحق فان الدعوة حياة الاديان ، وترشد المسلمين الى حقيقة دينهم على الوجه الذي تتضاءل دونه شبهات دعاة النصرانية ، وتظهر به مزاياه الصورية والمعنوية ، وكنا عنينا

بالقيام بهذا الواجب في المنار ، فلا تكاد تبلغنا شبهة من الشبهات التي ينفثها دعاة النصرانية في المسلمين الا ونردها عليهم ، ونظهر بطلانها لهم ولغيرهم ، ولا نقتصر على الدفاع كما هو شأن الضعيف مع القوي بل نهاجمهم كما يهاجموننا ، ونعتقد أن حقنا يغلب باطلهم وان كانوا أكثر منا مالا ورجالا ، وأقوى دولا ونفوذا ،

ولما كانت عقيدة الصلب والفداء هي أساس دينهم ، توسعنا في بيان بطلانها في تفسير الآية الكريمة التي تنفي صلب المسيح وقتله ، واقترح علينا ان نجمع ذلك من التفسير ونطبعه في رسالة خاصة ، فأجبناه الى ذلك . وضممنا اليه رسالة كتبها أخونا الدكتور محمد توفيق صدقي حين اطلع في المنار على ما كتبناه في تفسير الاية الشريفة

وانا نرجو أن يكون هذا العدوان من دعاة النصرانية الذي يريدون به محو الاسلام من الارض ، هو الذي يدعو المسلمين الى إعلاء شأنه في جميع الارض ، فمتى استيقظ الشعور الاسلامي وصدرت عنه آثاره نجحت (جماعة الدعوة والارشاد) ونادى لسان حالها (٤٠ : ٣٩ ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد * ٤٤ فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله ، ان الله بصير بالعباد)

محمد رشيد رضا

منشئ المنار وناظر دار الدعوة والارشاد بمصر

﴿ تفسير الآية - تابع لما قبله ﴾

﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ﴾ أي وبسبب قولهم (أي اليهود) هذا فانه قول يؤذن بمنتهى الجرأة على الباطل، والضراوة بارتكاب الجرائم، والاستهزاء بآيات الله ورسله . ووصفه هنا بصفة الرسالة للإيذان بتهكمهم به عليه السلام واستهزائهم بدعوته . وهو مبني على أنه انما ادعى النبوة والرسالة فيهم لا الالوهية كما تزعم النصارى. على أن أناجيلهم ناطقة بانه كان موحدا لله تعالى مدعيا للرسالة كقوله في رواية انجيل يوحنا (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته) ويجوز أن يكون قوله « رسول الله » منصوبا على المدح أو الاختصاص للاشارة الى فظاعة عملهم ، ودرجة جهلهم وشناعة زعمهم ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ﴾ أي والحال أنهم ماقتلوه كما زعموا تبجحا بالجريمة وما صلبوه كما ادعوا وشاع بين الناس ﴿ ولكن شبه لهم ﴾ أي وقع لهم الشبهة أو الشبه فظنوا أنهم صلبوا عيسى وإنما صلبوا غيره ، ومثل هـذا الشبه أو الاشتباه يقع في كل

زمان كما سنبينه قريبا ﴿ وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ماهم به من علم الا اتباع الظن ﴾ أي وان الذين اختلفوا في شأن عيسى من أهل الكتاب في شك من حقيقة أمره أي في حيرة وتردد ماهم به من علم ثابت قطعي لكنهم يتبعون الظن أي القرائن التي ترجح بعض الآراء الخلافية على بعض . فالشك الذي هو التردد بين أمرين شامل لمجموعهم لا لكل فرد من أفرادهم ، هذا اذا كان – كما يقول علماء المنطق – لايستعمل الا فيما تساوى طرفاه بحيث لايترجح أحدهما على الآخر ، والذين يتبعون الظن في أمره هم أفراد رجحوا بعض ماوقع الاختلاف فيه على بعض بالقرائن أو بالهوى والميل . والصواب أن هذا معنى اصطلاحي للشك . وأما معناه في أصل اللغة فهو نحو من معنى الجهل ، وعدم استبانة مايجول في الذهن من الامر ، (وحذفنا من هنا شواهد اللغة في الظن) فهو إذاً يشمل الظن في اصطلاح أهل المنطق وهو ماترجح أحد طرفيه. فالشك في صلب المسيح هو التردد فيه أ كان هو المصلوب أم غيره؟ فبعض المختلفين في أمره الشاكين فيه يقول انه هو ، و بعضهم

يقول انه غيره ، وما لاحد منهما علم يقيني بذلك وانما يتبعون الظن. وقوله تعالى « الا اتباع الظن » استثناء منقطع كما علم من تفسيرنا له. وفي الأناجيل المعتمدة عند النصارى أن المسيح قال لتلاميذه « كلكم تشكون فيّ في هذه الليلة » أي التي يطلب فيها للقتل والصلب (متى ٢٦ : ٣١ ومرقس ١٤ : ٢٧)

فاذا كانت أناجيلهم لا تزال ناطقة بانه أخبر أن تلاميذه وأعرف الناس به يشكون فيه في ذلك الوقت وخبره صادق قطعا فهل يستغرب اشتباه غيرهم وشك من دونهم في أمره ؟

﴿ وما قتلوه يقينا ﴾ أي وما قتلوا عيسى بن مريم قتلا يقينا أو متيقنين انه هو بعينه لأنهم لم يكونوا يعرفونه حق المعرفة وهذه الاناجيل المعتمدة عند النصارى تصرح بأن الذي اسلمه الى الجند هو يهوذا الاسخريوطي وانه جعل لهم علامة ان من قبله يكون هو يسوع المسيح فلما قبله قبضوا عليه. واما إنجيل برنابا فيصرح بأن الجنود أخذوا يهوذا الاسخريوطي نفسه ظنا انه المسيح لانه ألقي عليه شبهه. فالذي لاخلاف فيه هو أن الجنود ما كانوا يعرفون شخص المسيح معرفة يقينية.

وقيل ان الضمير في قوله تعالى « وما قتلوه يقينا » للعلم الذي نفاه عنهم ، والمعنى ماهم به من علم لكنهم يتبعون الظن وما قتلوا العلم يقينا وتثبتا به بل رضوا بتلك الظنون التي يتخبطون فيها . يقال قتلت الشيء علما وخبرا - كما في الاساس - اذا أحطت به واستوليت عليه حتى لا ينازع ذهنك منه اضطراب ولا ارتياب . وروي عن ابن عباس انه راجع الى الظن الذي يتبعونه قال « لم يقتلوا ظنهم يقينا » رواه ابن جرير أي أنهم يتبعون ظنا غير ممحص ولا موفى أسباب الترجيح والحكم التي توصل الى العلم . وقد اختلفت رواية المفسرين بالمأثور في هذه المسألة لان عمدتهم فيها النقل عمن أسلم من اليهود والنصارى وهؤلاء كانوا مختلفين ماهم به من علم يقيني ولكن الروايات عنهم تشتمل على نحو ماعند النصارى من مقدمات القصة كجمع المسيح لحواريه (أو تلاميذه) وخدمته إياهم وغسله لارجلهم ، وقوله لبعضهم انه ينكره قبل صياح الديك ثلاث مرات ، ومن بيعه بدلالة أعدائه عليه في مقابلة مال قليل ، وكون الدلالة عليه كانت بتقبيل الدال عليه له . ولكن بعضهم قال

ان شبهه ألقي على من دلهم عليه، وبعضهم قال بل ألقي شبهه على جميع من كانوا معه ، وروى ابن جرير القولين عن وهب ابن منبه. والحاصل ان جميع روايات المسلمين متفقة على ان عيسى عليه السلام نجا من أيدي مريدي قتله فقتلوا آخر ظانين انه هو

وأما قوله تعالى ﴿ بل رفعه الله اليه ﴾ فقد سبق نظيره في سورة آل عمران وذلك قوله تعالى (٣ : ١٥٥ اذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا) روي عن ابن عباس تفسير التوفي هنا بالإماتة كما هو الظاهر المتبادر وعن ابن جريج تفسيرها بأصل معناها وهو الأخذ والقبض والمراد منه ومن الرفع انقاذه من الذين كفروا بعناية من الله الذي اصطفاه وقربه اليه . قال ابن جرير بسنده عن ابن جريج « فرفعه إياه توفيه إياه وتطهيره من الذين كفروا » أي ليس المراد الرفع الى السماء لا بالروح والجسد ولا بالروح فقط. وعلى القول بأن التوفي الإماتة لا يظهر للرفع معنى الا رفع الروح. والمشهور بين المفسرين وغيرهم ان الله رفعه بروحه وجسده الى السماء ويستدلون على هذا بحديث المعراج إذ فيه ان النبي

(ص) رآه هو وابن خالته يحيى في السماء الثانية . ولو كان هذا يدل على انه رفع بروحه وجسده الى السماء لدل أيضا على رفع يحيى وسائر من رآهم من الانبياء في سائر السموات، ولم يقل بهذا أحد

وذكر الرازي ان المشبهة يستدلون بالآية على اثبات المكان لله تعالى وذكر للرد عليهم وجوها (منها) ان المراد « برافعك الي » الى محل كرامتي وجعل ذلك رفعا للتفخيم والتعظيم ومثله قوله تعالى حكاية عن إبراهيم « اني ذاهب إلى ربي » وانما ذهب من العراق الى الشام (ومنها) ان المراد رفعه إلى مكان لا يملك الحكم فيه عليه غير الله . وقد فسرنا آية آل عمران في الجزء الثالث وذكرنا ما قاله الاستاذ الامام فيها وفي مسألة نزول عيسى في آخر الزمان كما ورد في الاحاديث . وقد أنكر بعض الباحثين ما أوردناه في ذلك، وهو يحتاج الى تمحيص وبيان ليس التفسير بمحل له لأن القرآن لم يثبت لنا هذه المسألة

﴿ وكان الله عزيزا حكيما ﴾ فبعزته وهي كونه يَقهر ولا يُقهر، ويغلب ولا يغلب، أنقذ عبده ورسوله عيسى عليه السلام من اليهود الماكرين، والروم الحاكمين، وبحكمته جزى كل عامل

بعمله ، فأحل باليهود ما أحل بهم وسيوفيهم جزاءهم في الآخرة ﴿ وان من أهل الكتاب ﴾ أي وما من أهل الكتاب أحد ﴿ إلا ليؤمنن به ﴾ أي ليؤمنن بعيسى ايمانا صحيحا وهو انه عبد الله ورسوله وآيته للناس ﴿ قبل موته ﴾ أي قبل موت ذلك الأحد الذي هو نكرة في سياق النفي فيفيد العموم . وحاصل المعنى أن كل أحد من أهل الكتاب عند ما يدركه الموت ينكشف له الحق في أمر عيسى وغيره من أمر الايمان فيؤمن بعيسى إيمانا صحيحا ، فاليهودي يعلم انه رسول صادق غير دعي ولا كذاب ، والنصراني يعلم انه عبد الله ورسوله فلا هو إله ولا ابن الله . ﴿ ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾ يشهد عليهم ، بما تظهر به حقيقة أمره معهم ، ومنه ما حكاه الله عنه في آخر سورة المائدة « ماقلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم » وقد يشهد للمؤمن منهم في حال الاختيار والتكليف بايمانه ، وعلى الكافر بكفره ، لانه مبعوث اليهم وكل نبي شهيد على قومه كما قال تعالى « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على

هؤلاء شهيدا » وذهب بعضهم الى ان المراد أن كل أحد من أهل الكتاب يؤمن بعيسى قبل موت عيسى وهذا مبني على القول بأن عيسى لما يمت وانه رفع الى السماء قبل وفاته وهم الذين أولوا قوله تعالى « إني متوفيك ورافعك الي » وهم على هذا يحتاجون الى تأويل النفي العام هنا بتخصيصه بمن يكون منهم حيا عند نزوله فيقولون : المعنى وما من أحد من أهل الكتاب الذين ينزل المسيح من السماء الى الارض وهم أحياء الا ليؤمنن به ويتبعنه . والمتبادر من الآية المعنى الاول وهذا التخصيص لادليل عليه وهو مبني على شيء لانص عليه في القرآن حتى يكون قرينة له . والاخبار التي وردت فيه لم ترد مفسرة للآية

أما المعنى الاول الذي هو الظاهر المتبادر من النظم البليغ فيؤيده ماورد من اطلاع الناس قبل موتهم على منازلهم من الآخرة ومن كونهم يبشرون برضوان الله وكرامته أو بعذابه وعقوبته . ففي حديث عبادة بن الصامت في الصحيحين ان المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، وان الكافر اذا حضر (بضم الحاء أي حضره الموت) بشر بعذاب الله

وعقوبته . وروى أحمد والنسائي من حديث أنس وغيرهما من حديث عبادة بن الصامت وعن عائشة زيادة في حديث « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » الذي في الصحيحين وغيرهما وهي أنهم قالوا يارسول كلنا نكره الموت فقال « ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن اذا حُضر جاءه البشير من الله بما هو صائر اليه فليس شيء أحب اليه من ان يكون قد لقي الله فأحب لقاءه . وان الفاجر اذا حضر جاءه البشير من الله بما هو صائر اليه من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه » وروى ابن مردويه وابن منده بسند ضعيف عن ابن عباس « ما من نفس تفارق الدنيا حتى ترى مقعدها من الجنة أو النار » وروى مثله ابن أبي الدنيا عن رجل لم يسم عن عليّ مرفوعا . فهذه الاحاديث تؤيد ماروي عن ابن عباس وغيره في تفسير الآية من كون الملائكة تخاطب من يموت من أهل الكتاب قبل خروج روحه بحقيقة أمر المسيح ، مع الانكار الشديد والتقبيح ، ومما يؤيد هذه الحقيقة النص في سورة يونس على تصريح فرعون بالايمان حين أدركه الغرق . ولها دلائل أخرى كالاحاديث الواردة في عدم قبول التوبة عند الغرغرة والله أعلم

﴿ فصل في مباحث تتعلق بمسألة الصلب ﴾

إن مسألة الصلب من المسائل التاريخيـة التي لها نظائر وأشباه كثيرة ، فقد كان الملوك والحـكام يقتلون و يصلبون ، وناهيـك بالرومانيين وقسوتهم ، واليهود وعصبيتهم ، وقد قتل هؤلاء غير واحد من أنبيائهم أشهرهم زكريا ويحيى عليهما السلام . والفائدة في إثبات التاريخ لمثل هذه الوقائع لاتعـدو العبرة باخلاق الامة ودرجة ضلالها وهدايتها وسيرة الحـكام فيها . وقد كان اليهود في عصر المسيح تحت سلطان الروم (الرومانيين) والحاكم الروماني في بيت المقـدس في ذلك العهد (بيلاطس) لم يكن يريد قتل المسيح ، ولم يحفل بوشاية اليهود وسعايتهم فيه ، ولا خاف ان يكون ملكا يزيل سلطان الروم عن قومه . هكذا تقول النصارى في كتبها ، وانما كانت اليهود تريد قتله عليه السـلام لما دعا اليه من الاصلاح الذي يزحزحهم عن تقاليدهم المادية ، لانهم بقتل زكريا ويحيى قد أصيبوا بالضراوة بسفك دماء النبيين والمصلحين، فسواء أصح خبر دعوى قتل عيسى وصلبه أم لم يصح ، فلا صحته تفيدنا

عبرة بحال أولئك القوم لم تكن معروفة ، ولا عدمها ينقص من معرفتنا بأخلاقهم وتاريخ زمنهم . فمسألة الصلب ليست في ذاتها بالامر الذي يهتم باثباته أو نفيه بأكثر من اثبات قتل اليهود النبيين بغير حق وتقريعهم على ذلك، لولا ان النصارى جعلوها أساس العقائد وأصل الدين ، فمن فاته الايمان بها فهو في الآخرة من الهالكين، ومن آمن بها على الوجه الذي يقولونه ويدعون اليه كان هو الناجي الفائز بملكوت السماء مع المسيح والرسل والقديسين . لاجل هذا كبر عليهم نفي القرآن العظيم لقتل المسيح وصلبه ، وهم يوردون في ذلك الشبهات على القرآن والاسلام .لهذا رأينا أن نبين عقيدة الصلب عندهم، وشبهاتهم على نفيها مع الجوب عنها ، وما يتعلق بذلك من المباحث المهمة

عقيدة النصارى في المسيح والصلب

نرى دعاة النصارى المنبثين في بلادنا قد جعلوا قاعدة دعوتهم وأساسها عقيدة صلب المسيح فداء عن البشر ، فهذه العقيدة عندهم هي أصل الدين وأساسه والتثليث يليها . لان أصل الدين وأساسه هو الذي يدعى اليه أولا ،ويجعل ماعداه

تابعاً له . ولذلك كان التوحيد هو الاصل والاساس لدعوة الاسلام، ويليه الايمان بالنبوة واليوم الآخر، وكان أول شيء دعا اليه النبي (ص) هو كلمة التوحيد ودعا أهل الكتاب في كتبه الى الاسلام بقوله عز وجل (يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) .

فكان يكتفي في دعوته الاولى لمشركي العرب بتوحيد الالوهية لان شركهم إنما كان في الالوهية باتخاذ أولياء يقربونهم الى الله زلفى ويشفعون لهم عنده ، بواسطتهم يدفع الله عنهم الضر ويسوق اليهم الخير كما كانوا يزعمون . وأما أهل الكتاب فكان قد طرأ على توحيدهم مثل هذا الشرك في الالوهية بالوساطة والشفاعة ، وطرأ عليهم فوق ذلك الشرك في الربوبية واتباعهم لاحبارهم ورهبانهم فيما يحلون لهم ويحرمون عليهم . فدعاهم (ص) الى توحيد الالوهية والربوبية معا .

فلولا أن عقيدة الصلب والفداء هي أصل هذه الديانة النصرانية عند أهلها لما كانوا يبدءون بالدعوة اليها قبل كل شيء

أما تقرير هذه العقيدة كما سمعنا من بعض دعاة البروتستانت في بعض المجامع العامة التي يعقدونها للدعوة في مدارسهم ، وفي المجالس الخاصة التي اتفق لنا حضورها مع بعضهم ، فهي أن آدم لما عصى الله تعالى بالاكل من الشجرة التي نهاه الله عن الاكل منها صار وهو وجميع أفراد ذريته خطاة مستحقين للعقاب في الآخرة بالهلاك الابدي - ثم أن جميع ذريته جاءوا خطاة مذنبين فكانوا مستحقين للعقاب أيضا بذنوبهم كما انهم مستحقون له بذنب أبيهم الذي هو الاصل لذنوبهم . ولما كان الله تعالى متصفا بالعدل والرحمة جميعا طرأ عليه (سبحانه وتعالى عن ذلك) مشكل منذ عصى آدم . وهو انه اذا عاقبه هو وذريته كان ذلك منافيا لرحمته فلا يكون رحيما ! ! واذا لم يعاقبه كان ذلك منافيا لعدله فلا يكون عادلا ! ! فكأنه منذ عصى آدم كان يفكر في وسيلة يجمع بها بين العدل والرحمة !! فلم يهتد الى ذلك سبيلا الا منذ ألف وتسع مئة واثنتي عشرة سنة بالنسبة الى سنتنا هذه (سبحانه

سبحانه) وذلك بأن يحل ابنه تعالى الذي هو هو نفسه في بطن امرأة من ذرية آدم ويتحد بجنين في رحمها ويولد منها فيكون ولدها انسانا كاملا من حيث هو ابنها وإلها كاملا من حيث هو ابن الله — وابن الله هو الله — ويكون معصوما من جميع معاصي بني آدم ، ثم بعد ان يعيش زمنا معهم يأكل مما يأكلون منه ويشرب مما يشربون ، ويتلذذ كما يتلذذون ويتألم كما يتألمون ، يسخر أعداءه لقتله افظع قتلة ، وهي قتلة الصلب التي لعن صاحبها في الكتاب الالهي ، فيحتمل اللعن والصلب لاجل فداء البشر وخلاصهم من خطاياهم كما قال يوحنا في رسالته الاولى : وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا (سبحان ربك رب العزة عما يصفون)

كنت مرة مارا بشارع محمد علي في القاهرة وانا قريب عهد بالهجرة اليها فرأيت رجلا واقفا على باب المدرسة الانكليزية فيه يدعو كل من مر امامه : تفضلوا تعالوا اسمعوا كلام الله . ولما خصني بالدعوة أجبت فدخلت فاذا بناس على مقاعد من الخشب في رحبة المدرسة ، فلما كثر الجمع قام أحد دعاة النصرانية فألقى

نحو ما تقدم آنفا من العقيدة الصليبية . وبعد فراغه وحثه الناس على الاخذ بما قاله والايمان به ، ودعواه ان لاخلاص لهم بدونه ، قمت فقلت : اذا كنتم قددعوتمونا الى هذا المكان لتبلغونا هذه الدعوة شفقة علينا ورحمة بنا ، فاذنوا لي ان ابين لكم موقعها من نفسي ، فاذن لي القس بالكلام فوقفت في موقف الخطابة واوردت عليهم ما يترتب على هذه الدعوة من العقائد الباطلة والقضايا المتناقضة التي سأبينها هنا ، وطلبت الجواب عنها ، فكان الجواب : ان هذا المكان خاص بالوعظ والكرازة دون الجدال ، فان كنت تريد الجدال والمناظرة فموضعهما المكتبة الانكليزية . فلما سمع المسلمون الحاضرون هذا الجواب صاحوا : لا اله الا الله محمد رسول الله . وانصرفوا . أما ما يؤخذ من هذه العقيدة وما يترتب عليها فدونكه بالاختصار :

﴿ مايرد على عقيدة الصلب ﴾

(١) لا يمكن ان يقبل هذه القصة من يؤمن بالدليل العقلي أن خالق العالم لا بد ان يكون بكل شيء عليما ، وفي كل

صنعه حكيما ، لأنها تستلزم الجهل والبداء على الباري عز وجل ، كأنه حين خلق آدم ما كان يعلم ما يكون عليه أمره ، وحين عصى ما كان يعلم ما يقتضيه العدل والرحمة في شأنه ، حتى اهتدى الى ذلك بعد ألوف من السنين مرت على خلقه ، كان فيها جاهلا كيف يجمع بين تينك الصفتين من صفاته ، وواقعا في ورطة التناقض بينهما ، ولكن قد يقبلها من يشترط في الدين عندهم ان لا يتفق مع العقل ، وان يأخذ صاحبه بكل ما يسند الى من نسب اليهم عمل العجائب ، ويقول آمنت به وان لم يدركه ، ولم تذعن له نفسه ، ومن ينقلون في أول كتاب من كتبهم الدينية (سفر التكوين) هذه الجملة (٦ : ٦ فندم الرب انه عمل الانسان في الارض وتأسف في قلبه) تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا

(٢) يلزم من يقبل هذه القصة ان يسلم ما يحيله كل عقل مستقل من ان خالق الكون يمكن ان يحل في رحم امرأة في هذه الارض التي نسبتها الى سائر ملكه اقل من نسبة الذرة اليها والى سمواتها التي ترى منها ، ثم يكون بشرا يأكل

ويشرب ويتعب ويعتريه غير ذلك مما يعتري البشر ، ثم يأخذه اعداؤه بالقهر والاهانة فيصلبوه مع اللصوص ويجعلوه ملعونا بمقتضى حكم كتابه لبعض رسله (تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا)

(٣) تقتضي هذه القصة ان يكون الخالق العليم الحكيم قد أراد شيئا بعد التفكر فيه ألوفا من السنين فلم يتم له ذلك الشيء ، ذلك أن البشر لم يخلصوا وينجوا بوقوع الصلب من العذاب ، فإنهم يقولون إن خلاصهم متوقف على الايمان بهذه القصة وهم لم يؤمنوا بها — لنا ان نقول انه لم يؤمن بها أحد قط لأن الايمان هو تصديق العقل وجزمه بالشيء والعقل لا يستطيع ان يدرك ذلك ، والذين يقولون انهم مؤمنون بها يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم تقليدا لمن لقنهم ذلك . فان سمينا مثل هذا القول إيمانا ، نقول ان اكثر البشر لا يقولونه بل يردونه بالدلائل العقلية ، ومنهم من يرده أيضا بالدلائل النقلية ، من دين ثبتت أصوله عندهم بالادلة العقلية ، ومنهم من لم يعلموا بهذه القصة ، ومنهم من يقول بمثلها لآلهة أخرى . فاذا عذبهم الله تعالى في

الآخرة ولم يدخلهم ملكوته ـ كما تدعي النصارى ـ لا يكون رحيما على قاعدة دعاة الصلب والصليب ، فكيف جمع بذلك بين العدل والرحمة ؟

(٤) يلزم من هذه القصة شيء أعظم من عجز الخالق (تعالى وتقدس) عن إتمام مراده بالجمع بين عدله ورحمته ، وهو انتفاء كل من العدل والرحمة في صلب المسيح لانه عذبه من حيث هو بشر وهو لا يستحق العذاب لانه لم يذنب قط ، فتعذيبه بالصلب والطعن بالحراب ـ على ما زعموا ـ لا يصدر من عادل ولا من رحيم بالاحرى . فكيف يعقل ان يكون الخالق غير عادل ولا رحيم ، أو ان يكون عادلا رحيما فيخلق خلقا يوقعه في ورطة الوقوع في انتفاء احدى هاتين الصفتين ، فيحاول الجمع بينهما فيفقدهما معاً ؟؟

(٥) اذا كان كل من يقول بهذه العقيدة أو القصة ينجو من عذاب الآخرة كيفما كانت أخلاقه وأعماله ، لزم من ذلك أن يكون أهلها إباحيين ، وان يكون الشرير المبطل الذي يعتدي على أموال الناس وأنفسهم وأعراضهم ويفسد في الارض

ويهلك الحرث والنسل ، من أهل الملكوت الأعلى لا يعذب على شروره وخطيئاته ولا يجازى عليها بشيء . فله ان يفعل في هذه الدنيا ماشاءهواه ، وهو آمن من عذاب الله، ـ وناهيك بهذا مفسدا للبشر ـ واذا كان يعذب على شروره وخطيئاته كغيره من غير الصليبيين فماهي مزية هذه العقيدة ؟ واذا كان له امتياز عند الله تعالى في نفس الجزاء فأين العدل الالهي ؟

(٦) ما رأينا احـدا من العقلاء ولا من علماء الشرائع والقوانين يقول : ان عفو الانسان عمن يذنب اليـه ، او عفو السيد عن عبده الذي يعصيه ، ينافي العدل والكمال ، بل يعدون العفو من أعظم الفضائل ، وترى المؤمنين بالله من الامم المختلفة يصفونه بالعفو ويقولون انه اهل للمغفرة ، فدعوى الصليبيين ان العفو والمغفرة مما ينافي العدل مردودة غير مسلمة

﴿ الجزاء والخلاص في الاسلام ﴾

يتوهم دعاة النصرانية ـ من القياس على مذهبهم ومن الخرافات التي سرت الى بعض عامة المسلمين ـ ان الاسلام مبني

على ان النجاة في الآخرة والسعادة الابدية فيها انما تكون بمثل مايسمونه الفداء في عقيدة الصلب ، وان الفرق بين الاسلام والنصرانية إنما هو في الفادي ، فهم يقولون انه المسيح ونحن نقول انه محمد (عليهما الصلاة والسلام) ولذلك يشككون عوامّ المسلمين في دينهم ، بما يكتبون من سفسطة الجدل في صحفهم وكتبهم ، وما يقولون في المجالس والمجامع بألسنتهم ، ومداره على قولهم ان المسيح لم يخطئ قط وان نبينا قد أذنب . والمذنب لا يستطيع ان ينقذ من هو مثله من تبعة ذنبه ، وانما يستطيع ذلك من لم يذنب

أما نحن المسلمين فلا نردعليهم هذا بتخطئة هذه القاعدة فقط ، ولا بتعجيزهم في إثبات دعواهم ان المسيح لم يقترف خطيئة بالدليل العقلي ، وكون الدليل النقلي هنا لا يمكن الا اذا فرض ان عددا كثيرا من الناس يعد نقلهم تواترا صحيحا قد لازموا المسيح في كل ساعات حياته ودقائقها فلم يروا منه خطيئة فيها ، - ولم يحصل هذا قط - أو فرض نص صريح من الوحي يخصه بذلك ، وليس عندهم شيء من ذلك يقوم حجة علينا .

وليس لهم أن يحجونا بما عندنا من القول بعصمة الانبياء لان هذا - على كونه عاما يعد عندنا لجميع الرسل - من الاحتجاج الذي يؤدي الى نقض نفسه ، لان اعتقادنا ينقض اعتقادهم واعتقادهم ينقض اعتقادنا ، فالاحتجاج بمثل هذا اذا نفع في إفحام الخصم وإلزامه لا ينفع في إقناعه ، والمراد في هذا المقام الاقناع لا مجرد الغلب في الخصام

— ولا نرد عليهم أيضا بأن اثبات الخطيئة على نبينا (ص) متعذر عليهم ، وانه لا ينفعهم في هـذا المقام المشاغبة بمثل « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » لأن الخطيئة - التي ننفيها عن محمد والمسيح على حد سواء - هي مخالفة دين الله تعالى بارتكاب ما نهى الله عنه أو ترك ما أمر به . والذنب في اللغة كل عمل له تبعة لا تسرّ العامل ولا توافق غرضه ، فهو مأخوذ من ذنب الحيوان . ومثل هذا يقع من جميع الانبياء . ومثاله من عمل نبينا (ص) إذنه لبعض المنافقين في التخلف والقعود عن السفر معه في غزوة تبوك ، وكان اذنه لهم مبنيا على اجتهاد صحيح وهو أنهم اذا خرجوا وهم كارهون ومصرون

على نفاقهم يضرون ولا ينفعون كما قال تعالى (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة) ولكن لو لم يأذن لهم لتبين له الصادق من المعتذرين وعلم الكاذبين منهم . فكان هذا الاذن ذنبا لان له عاقبة مخالفة للمقصد أو للمصلحة ، وهي عدم ذلك التبين والعلم ، فان أولئك الكاذبين في الاعتذار الذي بنوا عليه الاستئذان ما كانوا يريدون الخروج معه (ص) مطلقا أذن أو لم يأذن . ولذلك قال الله تعالى في هذا الذنب (عفا الله عنك لم أذنت لهم ؟ حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) فمثل هذا — وان سمي ذنبا لغة — لا يعد من الخطايا التي تمنع الانسان من استحقاق ملكوت الله ومثوبته في الآخرة ، أو تجعل شفاعته مردودة . على أن في سيرة كثير من صلحاء المسلمين من لم تعرف له ولم تقع منه خطيئة من الخطايا التي يرمي الصليبيون بها الانبياء والرسل عليهم السلام — لا نرد على قاعدة هؤلاء بأمثال هذه النواقض لأسسهم ، والهوادم لأبنيتهم ، لانها ليست عندنا هي موضوع النجاة والسعادة في الآخرة ، فلو فرضنا ان مزاعمهم فيها صحيحة

لا يضرنا ذلك شيئا ، ولذلك اختصرنا فيها هنا اعتمادا على بيانها المفصل في مواضعها من التفسير وغيره ، وانما نرد عليهم ببيان عقيدة الاسلام في هذه المسألة ونذكرها هنا بالايجاز لان شرحها قد تقدم مرارا كثيرة فنقول :

ان مدار نجاة الانسان في الآخرة من العقاب وفوزه بالنعيم والسعادة الابدية انما هو على تزكية نفسه وتطهيرها من العقائد الوثنية الباطلة والاخلاق الفاسدة حتى تكون متخلية عن الاباطيل والشرور ، متحلية بالفضائل وعمل البر والخير ، ومدار الهلاك على ضد ذلك. قال الله تعالى في سورة الشمس (ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها) فالله تعالى جعل كل انسان متمكنا بقواه الفطرية من أعمال الفجور والشرور ، ومن أعمال التقوى والخيرات ، وهو الذي يزكي نفسه بهذه أو يدسيها بتلك . فمن صحت عقيدته وحسن عمله ، صلحت نفسه وزكت ، وكانت أهلا للنعيم في ذلك العالم العلوي ، ومن كانت عقيدته خرافية باطلة ، وأعماله سيئة ، فسدت أخلاقه ، وخبثت نفسه ، وكان

هو الذي تكلف تدسيتها ودهورتها الى هاوية الجحيم . ولا يشترط في التزكية ، ان لا يلم الانسان بخطأ ولا تقع منه سيئة البتة ، بل المدار على طهارة القلب وسلامته من الخبث وسوء النية ، بحيث اذا غلبه بعض انفعالات النفس فألم بذنب يبادر الى التوبة ، ويلجأ الى الندم والاستغفار ، وتكفير ذلك الذنب بعمل صالح . فيكون مثل نفسه كمثل بيت تتعاهده ربته بالكنس والمسح وسائر وسائل النظافة ، فاذا ألمّ به غبار او اصابه دنس بادرت الى ازالته فيكون الغالب عليه النظافة ، ولا يشترط في الشهادة له بذلك ما لا تخلو منه البيوت النظيفة عادة من قليل غبار أو وسخ لا يلبث ان يزال ، فالجزاء أثر لازم للعمل ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها

وقد شرحنا هذا المعنى بالتفصيل في مواضع متعددة . منها في تفسير هذه السورة ما تقدم في الكلام على قوله تعالى : (١٢٢ ليس بأمانيكم ولا اماني أهل الكتاب . من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون

الجنة ولا يظلمون نقيرا) وقوله تعالى (١٦ انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) - الآيتين، وقوله تعالى (٣٠ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) وقوله (٤٧و١١٦ ان الله لا يغفر ان يشرك به) الخ

فمن اخلص لله في تزكية نفسه واصلاحها بالايمان والعمل الصالح بقدر استطاعته كان مقبولا مرضيا عند الله تعالى ولا يؤاخذه تعالى بما لا يستطيع ، ومن لم يكن كذلك غضب الله عليه وكان محروما من رضوانه الاكبر ، ولا ينفعه في الآخرة شفاعة شافع ، ولا يقبل منه فداء - لو ملك الفداء - . ولا يستطيع أحد من أهل السموات والارض ان يشفع لاحد لم يرض الله تعالى بالايمان والاخلاص وتزكية النفس ، التي يغلب بها الحق والخير على ضدهما (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه؟ - ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون - واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة - يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة)

وقد علم مما ذكرناه من تزكية النفس وتدسيتها بعمل الانسان وكسبه الاختياري ان الجزاء في الآخرة أثر لازم للتزكية والتدسية مرتبٌ عليهما ترتب المسبب على السبب والمعلول على العلة بفضل الله وحكمته ومقتضى سنته في خلقه ، (والله يضاعف لمن يشاء - ويزيدهم من فضله)

أليست هذه التعاليم الاسلامية هي التي ترفع قدر الانسان وتعلي همته وتحفزه الى طلب الكمال بايمانه واخلاصه وأعماله الصالحة ؟ أليست أفضل وأنفع من الاتكال على تلك القصة الصليبية المأثور مثلها عن خرافات الوثنيين ، التي لا يصدقها عقل مستقل ، ولا يطمئن بها قلب سليم ، المخالفة لسنن الفطرة ونظام الخلقة ، التي أفسدت العقول والاخلاق في الممالك الصليبية منذ شاعت فيها بنفوذ الملك قسطنطين الصليبي الى أن عتقت أوربة من رق الكنيسة بنور العلم والاستقلال اللذين أشرقا عليها من بلاد الاسلام (ولكن واأسفا على ذلك النور الذي ضرب بينه وبين أهله بسور له باب ، ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قِبله العذاب ، وواشوقاه الى اليوم الذي يندك

فيه هذا السور الذي حجبهم عن القرآن)

﴿ عقيدة الصلب والفداء وثنية ﴾

اعترف أمامنا كثير من الذين قالوا انهم نصارى بأن كلا من هذه العقيدة وعقيدة التثليث لا تعقل ، وان العمدة في اثباتهما عندهم النقل عن كتبهم المقدسة ، فلما كانت تلك الكتب ثابتة عندهم وجب أن يقبلوا جميع ما فيها سواء عقل أم لم يعقل. ويقول بعضهم : إن كل دين من الاديان فيه عقائد وأخبار يجزم العقل باستحالتها ولكنها تؤخذ بالتسليم .

ونحن نقول : انه ليس في عقائد الاسلام شيء يحكم العقل باستحالته ، وانما فيه اخبار عن عالم الغيب لا يستقل العقل بمعرفتها لعدم الاطلاع على ذلك العالم ولكنها كلها من الممكنات أخبر بها الوحي فصدقناه . فالاسلام لا يكلف أحداً أن يأخذ بالمحال

وأما نقلهم هذه العقيدة عن كتبهم (وسيأتي البحث فيه) فهو معارض بنقل مثله عن كتب الوثنيين وتقاليدهم . فهذه عقيدة وثنية محضة سرت الى النصارى من الوثنيين كما بينه علماء

أوربة الاحرار ومؤرخوهم وعلماء الآثار والعاديّات منهم في كتبهم

قال (دوان) في كتابه خرافات التوراة وما يقابلها من الديانات الاخرى (ص ١٨١ و١٨٢) ما ترجمته بالتلخيص

« ان تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم » وذكر الشواهد على ذلك

منها قوله « يعتقد الهنود ان كرشنا المولود البكر - الذي هو نفس الإلـه فشنو الذي لا ابتداء له ولا انتهاء على رأيهم - تحرك حنوّاً كي يخلص الارض من ثقل حملها ، فأتاها وخلص الانسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه »

وذكر ان (مستر مور) قد صور كرشنا مصلوبا كما هو مصور في كتب الهنود مثقوب اليدين والرجلين ، وعلى قميصه صورة قلب الانسان معلقا . ووجدت له صورة مصلوبا وعلى رأسه إكليل من الذهب . والنصارى تقول ان يسوع صلب وعلى رأسه إكليل من الشوك

وقال (هوك) في ص ٣٢٦ من المجلد الاول من رحلته

« ويعتقد الهنود الوثنيون بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء للناس من الخطيئة »

وقال (مورينورليمس) في ص ٣٦ من كتابه (الهنود) ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية . ومما يدل على ذلك ما جاء في مناجاتهم وتوسلاتهم التي يتوسلون بها بعد « الكياتري » وهو « اني مذنب ومرتكب الخطيئة وطبيعتي شريرة وحملتني أمي بالاثم فخلصني ياذا العين الخندقوقية يا مخلص الخاطئين من الآثام والذنوب »

وقال القس جورج كوكس في كتابه (الديانات القديمة) في سياق الكلام عن الهنود « ويصفون كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتا لانه قدم شخصه ذبيحة »

ونقل هيجين عن (اندرادا الكروزيوس) وهو أول أوربي دخل بلاد النيبال والتبت أنه قال في الإله (اندرا) الذي يعبدونه إنه سفك دمه بالصلب وثقب المسامير لكي يخلص البشر من ذنوبهم . وان صورة الصليب موجودة في كتبهم

وفي كتاب جورجيوس الراهب صورة الإله (أندرا) هذا مصلوبا ، وهو بشكل صليب أضلاعه متساوية العرض متفاوتة الطول فالرأسي أقصرها (وفيه صورة وجهه) والسفلي أطولها ، ولولا صورة الوجـه لما خطر لمن يرى الصورة انها تمثل شخصا

هذا وأما ما يروي عن البوذيين في (بوذه) فهو أكثر انطباقا على ما يرويه النصارى عن المسيح من جميع الوجوه ، حتى إنهم يسمونه المسيح ، والمولود الوحيد ، ومخلص العالم ، ويقولون إنه إنسان كامل وإله كامل تجسد بالناسوت ، وانه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ويخلصهم من ذنوبهم فلا يعاقبوا عليها ، ويجعلهم وارثين لملـكوت السموات . بين ذلك كثير من علماء الغرب منهم (بيل) في كتابه (تاريخ بوذه) و (هوك) في رحلته و (مولر) في كتابه تاريخ الآداب السنسكريتية ، وغيرهم

ومن أراد المقابلة بين إله النصارى وآلهـة الوثنيين الاولين في الشرق والغرب فعليه أن يقرأ كتاب «العقائد الوثنية

في الديانة النصرانية» (* فهل يتصور من مسلم هداه الله بالاسلام الى التوحيد الخالص والدين القيم دين العقل والفطرة المبني على تكريم نوع الانسان ان يستحب العمى على الهدى فيرضى لنفسه التخبط في ظلمات هذه العقائد الوثنية ؟؟

﴿ شبهات النصارى على انكار الصلب ﴾

﴿ الشبهة الاولى ﴾ يدعي بعضهم فيما يموّه به على عوام المسلمين ان مسألة الصلب متواترة فالعلم بها قطعي

والجواب عن هذه الشبهة ان دعوى التواتر ممنوعة ، فان التواتر عبارة عن إخبار عدد كثير لا يجوز العقل اتفاقهم وتواطأهم على الكذب بشيء قد أدركوه بحواسهم إدراكا صحيحا لاشبهة فيه ، وكان خبرهم بذلك متفقا لا اختلاف فيه ، هذا اذا كان التواتر في طبقة واحدة رأوا بأعينهم شيئا (مثلا) واخبروا به . فان كان التواتر في طبقات كان ما بعد الاولى مخبرا

---

*) هذا الكتاب لمحمد طاهر افندي التنير البيروتي لخصه من اربعين مصنفا ونيف من الكتب الانكليزية في التاريخ والاديان والآثار العاديات والرحلات

عنها ، و يشترط ان يكون أفراد كل طبقة لا يجوز عقل عاقل تواطؤهم على الكذب في الاخبار عمن قبلهم، وان يكون كل فرد من كل طبقة قد سمع جميع الافراد الذين يحصل بهم التواتر ممن قبلهم . وان يتصل السند هكذا الى الطبقة الاخيرة ، فان اختل شرط من هذه الشروط لا ينعقد التواتر .

وأنى للنصارى بمثل هذا التواتر ، والذين كتبوا الاناجيل والرسائل المعتمدة عندهم لا يبلغون عدد التواتر ، ولم يخبر احد منهم عن مشاهدة ، ومن تنقل عنه المشاهدة كبعض النساء لا يؤمن عليه الاشتباه والوهم ، بل قال يوحنا في انجيله ان مريم المجدلية وهي اعرف الناس بالمسيح اشتبهت فيه وظنت انه البستاني . وهو قد كان صاحب آيات ، وخوارق عادات ، فلا يبعد أن يلقي شبهه على غيره ، وينجو بالتشكل بصورة غير صورته ، كما رووا عنه أنه قال لهم إنهم يشكون فيه ، وكما قال مرقس انه ظهر لهم بهيئة أخرى . ثم ان ما عزي اليهم لم ينقله عنهم عدد التواتر بالسماع منهم طبقة بعد طبقة الى العصر الذي صار للنصارى فيه ملك وحرية يظهرون فيهما دينهم . وقد بين الشيخ

رحمة الله الهندي وغيره انقطاع أسانيد هذه الكتب بالبينات الواضحة . وسيأتي في هذا السياق ما يدل على عدم الثقة بها

﴿ الشبهة الثانية ﴾ يقولون لو لم تكن هذه القصة متواترة متفقا عليها لوجد فيهم من انكرها كما وجدت فيهم فرق خالفت الجمهور في أصول عقائده كالتثليث ولم تخالفه في هذه العقيدة

والجواب عن هذا عسير على من يجهل تاريخهم ، يسير على المطلع عليه ، فقد أنكر الصلب منهم فرقة السيرنثيين والتاتيانوسيين (اتباع تاتيانوس تلميذ يوستينوس الشهيد) وقال فوتيوس انه قرأ كتابا يسمى رحلة الرسل فيه أخبار بطرس و يوحنا واندراوس وتوما وبولس ، ومما قرأه فيه « ان المسيح لم يصلب ولكن صلب غيره وقد ضحك بذلك من صالبيه » هذا وان مجامعهم الاولى قد حرمت قراءة الكتب التي تخالف الاناجيل الاربعة والرسائل التي اعتمدتها فصار أتباعهم يحرقون تلك الكتب و يتلفونها ، واننا نرى ما سلم بعض نسخه منها كانجيل برنابا ينكر الصلب ، وما يدرينا أن تلك الكتب التي فقدت كانت تنكره أيضا . فنحن لا ثقة لنا باختيار المجامع لما اختارته

فنجعله حجة ونعدّ ماعداه كالعدم. على ان عدم العلم بالمنكرين لا يقتضي عدم وجودهم ، وعدم وجودهم لا يقتضي أن يكون ما اتفقوا عليه بتقليد بعضهم لبعض ثابتا في نفسه

﴿ الشبهة الثالثة ﴾ يقولون ان الاناجيل ورسائل العهد الجديد قد أثبتت الصلب وهي كتب مقدسة معصومة من الخطاء فوجب اعتقاد ما اثبتته

ونقول (أولا) لا دليل على عصمة هذه الكتب ولا على ان كاتبيها كانوا معصومين ، و (ثانيا) لا دليل على نسبتها الى من نسبت اليهم لانها غير متواترة كما تقدم ، و (ثالثا) انها معارضة بأمثالها كانجيل برنابا وترجيحهم إياها على هذا الأنجيل لا يصلح مرجحا عندنا لانهم اتبعوا في اعتمادها تلك المجامع التي لا ثقة لنا بأهلها ، ولا كانوا معصومين عندهم ولا عندنا ، و (رابعا) انها متعارضة في قصة الصلب وفي غيرها و (خامسا) انها معارضة بالقرآن العزيز وهو الكتاب الالهي الذي ثبت نقله بالتواتر الصحيح دون غيره . فقصارى تلك الكتب أن تفيد الظن بالقرائن كما قال تعالى « ماهم به من علم

الاتباع الظن » والقرآن قطعي فوجب تقديمه لانه يفيد العلم القطعي

ان بعض المسلمين يصدقون دعاة النصرانية ومجادليهم في زعمهم ان هـذه الاناجيل محفوظة عندهم من عهد المسيح الى الآن ، وانها مسلمة عند جميع فرقهم ومعروفة عند غيرهم ، فلم يكن يختلف فيها اثنان ، ولـكن من طالع كتبهم التاريخية والدينية يعلم ان هذه الدعوى باطلة . وانما يصدقهم المسلمون الجاهلون لتوهم أن النصرانية نشأت كالاسلام في مهد القوة والعزة والمدنيـة والحضارة فأمكن حفظ كتبها كما أمكن حفظ القرآن . وشتان بين الامتين في نشأتهما شتان . واليك نزرا من البيان ، وان شئت المزيد من مثله فارجع الى الكتب المؤلفة في هذا الشان .

الدلائل على عدم الثقة بالاناجيل

الف سلسوس من علماء الوثنيين في القرن الثاني للميلاد كتابا في ابطال الديانة النصرانية قال فيه كما نقل عنه أكهارن

من علماء ألمانية ماترجمته « بدل النصارى اناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات بل أكثر من هذا تبديلا كأن مضامينها بدلت»

وفي كتبهم أن الفرقة الابيونية من فرق النصارى في القرن الاول للميلاد كانت تصدق بانجيل متى وحده وتنكر ماعداه ، ولكن كان ذلك الانجيل مخالفا لانجيل متى الذي ظهر بعدظهور قسطنطين . وأن الفرقة المارسيونية من فرق النصارى القديمة كانت تأخذ بانجيل لوقا وكانت النسخة التي تؤمن بها مخالفة للموجودة الآن ، وكانت تنكر سائر الاناجيل وهي عندهم من المبتدعة .

وفي رسالة بولس الى أهل غلاطية ما نصه (١ : ٦ إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل آخر ٧ ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا انجيل المسيح)هكذا في ترجمة البروتستانت الاخيرة (يحولوا) وفي الترجمة القديمة التي نقل عنها كثيرون « يحرفوا » وفي ترجمة الجزويت « يقلبوا » والمعاني متقاربة تدل كلها على أنه كان في عهد بولس قوم

يدعون الناس الى انجيل غير الذي يدعو هو اليه ، ومعنى كونه غيره انهم حرفوه أو قلبوه حتى صار كأنه انجيل آخر . وكما اعترف بولس بهذا اعترف بأنه كان يوجد في عصره رسل كذابون غدارون تشبهوا برسل المسيح ، صرح بذلك في رسالته الثانية الى أهل كورنثيوس فقال (١١ : ١٣ لان مثل هؤلاء رسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم الى رسل المسيح ١٤ ولا عجب لان الشيطان يغير شكله الى ملاك نور ١٥ فليس عظيما اذا كان خدامه أيضا يغيرون شكلهم كخدام للبر)

وفي سفر الأعمال تصريح بأن بعض اليهود كانوا ينبثون بين المسيحيين ويعلمونهم غير ما يعلمهم رسل المسيح ، وان الرسل والمشايخ أرسلوا بولس وبرنابا الى انطاكية لتحذير اخوانهم فيها من الذين يوصونهم بالختان وحفظ الناموس الذي لم يأمروهم به ، كما ذكر في الفصل ١٥ منه . وفي آخره انه حصلت مشاجرة هنالك بين بولس وبرنابا وافترقا . ومن المعلوم أن بولس كان عدو المسيحيين وخصمهم وأنه لما ادعى الايمان لم يصدقه جماعة المسيح عليه السلام ولولا أن شهد له برنابا لما

قبلوه . و برنابا يقول في أول انجيله ان بولس نفسه كان من الذين بشروا بتعليم جديد غير تعليم المسيح . فمع امثال هذه النصوص في أمهات كتبهم المقدسة كيف يمكن للمسلم ان يثق بها

ومن الشواهد على التعارض والتناقض في قصة الصلب منها (١ أن أصل هذه العقيدة ان المسيح بذل نفسه باختياره فداء وكفارة عن البشر، مع أن هذه الاناجيل تصرح بأنه حزن واكتئب عند ماشعر بقرب اجله وطلب من الله ان يصرف عنه هذه الكأس . ففي متى (٢٦ : ٣٧ ثم اخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب ٣٨ فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت مكثوا هنا واسهروا معي ٣٩ ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلي قائلا : ياأبتاه ان امكن فلتعبر عني هذه الكأس ، ولكن ليس كما اريد انا بل كما (تريد) انت ... ـ ٤٢ فمضى ايضا ثانية وصلى قائلا : ياأبتاه ان لم يمكن ان تعبر

---

١) تراجع الشواهد على تعارضها في قصة الصلب في الكتب والمقالات التي ألفت للرد على دعاة النصرانية ، ومن أوضحها مقالات الطبيب محمد توفيق صدقي التي نشرت في المنار هذه السنة (١٣٣٠) وغيرها وطبعت في كتاب مستقل سماه « دين الله في كتب انبيائه »

عني هـذه الـكأس الا ان اشربها فلتكن مشيئتك » ومثل
هذا في لوقا (٢٢ : ٤٣ ـ ٤٥) فكيف يقول المسيح هـذا
وهو إلـه عندهم فهل؟ يمكن ان يجهل ما يمكن وما لا يمكن ؟
وان يطلب ابطال الطريقة التي اراد الآب ـ وهو هو عندهم ـ
ان يجمع بها بين عدله ورحمته ؟؟

ومن الشواهد عليها مسألة اللصين اللذين قالوا انهما صلبا
معه . قال مرقس (١٥ : ٢٧ وصلبوا معه اصين واحدا عن
يمينه وآخر عن يساره ٢٨ فتم الكتاب القائل « وأحصي مع
أثمـة » ـ الى ان قال : واللذان صلبا معه كانا يعيرانه .
وكذلك قال متى (٢٧ : ٤٤) واما لوقا فقـد سمى الرجلين
اللذين صلبا معه مذنبين ولـكنه قال (٢٣ : ٣٩ وكان واحد
من المذنبين المعلقين معه يجدّف عليه قائلا ان كنت انت
المسيح فخلص نفسك وايانا ٤٠ فاجاب الآخر وانتهره» الخ
وفيه ان المسيح بشر هذا بأنه يكون معه في الفردوس ذلك
اليوم ، فكانت نبوة الـكتاب (المراد به أشعيا) انه يصلب مع
أثمة بصيغة الجمع ثم كان الجمع اثنين ولا بأس بذلك . ولـكن

كيف يقول اثنان من الانجيليين المعصومين ـ على رأيهم ـ ان الذي عيره واهانه هو احدهما والآخران وهما مثله في عصمته يقولان بل كلاهما عيراه ؟ ومثل هذه المخالفات والمعارضات في هذه القصة كثيرة ، ومن أظهرها مسألة دفنه ليلة السبت وقيامه من القبر قبل فجر يوم الاحد . مع ان البشارة انه يكون في بطن الارض ثلاثة ايام بلياليها وهي مدة يونان في بطن الحوت . ومنها مسألة النساء اللواتي جئن القبر وفيها عدة خلافات في وقت المجيء ورؤية الملك او الملكين ورؤيته هو الخ

﴿ الشبهة الرابعة ﴾ قولهم ان كتب العهد العتيق قد بشرت بمسألة الصلب ونوهت بها تنويها

ونحن نقول ان هـذا غير مسلم بل انتم الذين تأولتم عبارات من تلك الكتب وجعلتموها مشيرة الى هذه القصة ـ او كما قال السيد جمال الدين انكم فصلتم قميصا من تلك الكتب وألبستموها للمسيح . كما انكم تدعون ان الذبائح الوثنية كانوا يشيرون بها الى صلب المسيح فكأن جميع خرافات البشر وعباداتهم حجج لكم على عقيدتكم هذه وان كانوا قد سبقوكم

الى مثلها . على أن كثيرا من تلك العبارات حجة عليكم لا لكم كما هو مبسوط في محله

﴿ الشبهة الخامسة ﴾ يقولون اذا جاز ان يشتبه في المسيح ويجهل شخصه الجنود الذين جاءوا للقبض عليه ، والحكام ورؤساء الكهنة الذين طلبوا صلبه بعد القبض عليه ، فهل يجوز ان يشتبه في ذلك تلاميذه ومريدوه الذين يعرفونه حق المعرفة ؟

ونقول ان الجواب عن هذا من وجهين (احدهما) انه عهد بين الناس ان يشبه بعضهم بعضا شبها تاما بحيث لا يميز أحد المتشابهين المعاشرون والاقربون . وقد يكون هذا بين الغرباء كما يكون بين الاقربين . ولعله يقل في الذين يسافرون ويتقلبون بين الكثير من الناس من لم يقع له الاشتباه بين من يعرف ومن لا يعرف . وقد وقع لي غير مرة ان اسلم على رجل غريب اشتبه عليّ بصديق لي ثم اعرف بعد الحديث معه انه غيره . واننا لزيادة البيان نورد قليلا من الشواهد عن الافرنج الذين يثق دعاة النصرانية عندنا بهم ما لا يثقون بغيرهم لان هؤلاء الدعاة من ابناء جنسهم او مقلدتهم

قال صاحب كتاب التربية الاستقلالية (اميل القرن التاسع عشر) حكاية عن كتاب كتبته امرأة الدكتور إراسم الى زوجها ما نصه : « لقد كثر مالاحظت انه يوجد في بعض الاحوال بين شخصين مختلفين في الذكورة والانوثة والموطن تشابه كالذي يوجد بين أفراد اسرة واحدة مع أن كلا منهما يكون أجنبيا من الآخر من كل الوجوه . أتدري من هو الذي حضرت صورته في ذهني عند وقوع بصري على السيدة وارنجتون ؟ ذلك هو صديك يعقوب نقولا ، خلتني أراه بذاته في زي امرأة » اه فهذا مثال لرأي الكاتب في تشابه الناس . وفي رسالة نشرت في المجلد الحادي عشر من المنار ما نصه (ص ٣٦٨)

« ويوجد في كتب الطب الشرعي حوادث كثيرة في باب تحقيق الشخصيات دالة على انه كثيرا ما يحدث للناس الخطأ في معرفة بعض الاشخاص ويشتبهون عليهم بغيرهم وقد ذكر « جاي » و « فرير » مؤلفا (كتاب اصول الطب الشرعي) في اللغة الانكليزية حادثة استحضر فيها ١٥٠ شاهدا لمعرفة

شخص يدعى « مارتين جير » فجزم أربعون منهم أنه هو هو وقال خمسون انه غيره والباقون ترددوا جدًّا ولم يمكنهم ان يبدوا رأيا ثم اتضح من التحقيق أن هذا الشخص كان غير مارتين جير وانخدع به هؤلاء الشهود المثبتون وعاش مع زوجة مارتين محاطا باقاربه وأصحابه ومعارفه مدة ثلاث سنوات وكلهم مصدقون أنه مارتين ، ولما حكمت المحكمة عليه لظهور كذبه بالدلائل القاطعة استأنف الحكم في محكمة أخرى فأحضر ثلاثون شاهدا آخرون فأقسم عشرة منهم بأنه هو مارتين وقال سبعة انه غيره وتردد الباقون . وقد حدثت هذه الحادثة سنة ١٥٣٩ في فرنسة وأمثالها كثير

« وقد بلغ من شبه بعض الاشخاص لغيرهم أن وجد فيهم بعض ما يوجد في غيرهم ممن شابههم من الكسور او الجروح أو آثارها وغير ذلك حتى تعسر تمييز بعضهم عن بعض ولذلك جد الاطباء في وضع مميزات لاشخاص البشر المختلفين » اه

(الوجه الثاني) ان هذه الحادثة من خوارق العادات التي أيد الله بها نبيه عيسى بن مريم وأنقذه من أعدائه ،

فألقى شبهه على غيره وغير شكله هو فخرج من بينهم وهم لايشعرون . وفي اناجيلهم وكتبهم جمل متفرقة تؤيد هذا الوجه أشرنا الى بعضها من قبل (منها) قوله لهم انهم يشكون فيه يومئذ (ومنها) انه يتشكل بغير شكله . (ومنها) انه طلب من الله ان يعبر عنه هذه الكأس أي قتله وصلبه ان أمكن . ولا شك ان هذا من الممكنات الخاضعة لمشيئة الله وقدرته .

ويمكن ان يستدل على استجابة الله لدعائه بقول يوحنا حكاية عنه في سياق قصة الصلب من آخر الفصل ١٦ « ولكن ثقوا انا قد غلبت العالم » قال هذا بعد إخبارهم بأنه تأتي ساعة يتفرقون عنه ويبقى وحده ولكن الله يكون معه ، اي بعونه وحفظه . وفي هذا المعنى قول متى (٢٦ : ٥٦ حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا) وقول مرقص (١٤ : ٥٠ فتركه الجميع وهربوا) فهذا نص في ان التلاميذ كلهم هربوا حين جاء الجند ليقبضوا على المسيح فلم يكن الذين يعرفونه حق المعرفة هنالك

ومما يدل على استجابة الله دعوته بأن ينقذه ويعبر عنه تلك الكأس عبارة المزمور ١٠٩ التي يقولون ان المراد بها

المسيح وهذا نصها « ٢٦ أعني يارب الهي خلصني حسب رحمتك ٢٧ وليعلموا ان هـذه يدك أنت يارب فعلت هذا ٢٨ اما هم فيلعنون واما انت فتبارك ، قاموا وخزوا ، أما عبدك فيفرح ٢٩ ليلبس خصمائي خجلا وليتعطفوا بخزيهم كالرداء ٣٠ احمد الرب جدا بفمي وفي وسط كثيرين اسبحه ٣١ لانه يقوم عن يمين المسكين ليخلصه من القاضين على نفسه » اه وفي العبارات التي يحملونها على المسيح شواهد أخرى بمعنى هذا

﴿ الشبهة السادسة ﴾

يقولون : اذا كان المسيح قد نجا من أعدائه بعناية آلهية خاصة ، فأين ذهب ؟ ولماذا لم يقف له أحد على عين ولا أثر ؟

والجواب ان هذه الشبهة لا ترد على الذين يقولون انه رفع بروحه وجسده الى السماء ، وانما ترد على الذين قالوا ان الله توفاه في الدنيا ثم رفعه اليه كما رفع إدريس عليهما السلام . ويقول هؤلاء لاغرابة في الامر فان أخاه موسى عليه السلام كان بين الالوف من قومه ، الخاضعين لامره

ونهيه ، وقد انفرد عنهم ، ومات في مكان لم يعرفه أحد منهم ، فكيف يستغرب ان يفرّ عيسى عليه السلام من قوم أعداء له لا ولي له فيهم **ولا** نصير الا أفراد من الضعفاء ، قد انفضوا من حوله وقت الشدة وأنكره امثلهم (بطرس) ثلاث مرات؟ لابدع اذا ذهب الى مكان مجهول ومات فيه كما مات موسى (عليهما السلام) ولم يعرف قبره أحد ، كما هو منصوص في آخر سفر تثنية الاشتراع من اسفار التوراة . ومن الناس من يزعم ان قبر المسيح الذي دفن فيه بعد موته قد اكتشف في الهند كما سيأتي

قول بعض النصارى بعدم موت المسيح بالصلب

رووا أن القبر الذي دفن فيه المصلوب وجد في صباح الأحد خاليا واللفائف ملقاة ، وأن اليهود والوثنيين لما علموا بذلك قالوا ان الجثة سرقت

ويروى عن بعض المدققين من علماء اوربة الاحرار وكذا الذين يسمون المسيحيين العقليين ان الذي صلب لم يمت بل أغمي عليه فلما أنزل ولف باللفائف ووضع في ذلك الناووس

أفاق وألقى اللفائف حتى اذا جاء الذين رفعوا الحجر لافتقاده خرج واختفى عن الناس حتى لا يعلم به أعداؤه . ومما اوردوا من التقريب على هذا ان المصلوب لم يجرح منه الا كفاه ورجلاه وهي ليست من المقاتل ولم يمكث معلقا الا ثلاث ساعات وكان يمكن ان يعيش على هذه الصفة عدة ايام ، وانه لما جرح بالحربة خرج منه دم وماء والميت لا يخرج منه ذلك ، بل قالوا ان ذلك لم يكن صلبا تاما كالمعتاد في تلك الأزمنة

ومن النقول المصرحة بشيوع هذا الرأي ما جاء في (ص ٥٦٣ من كتاب ذخيرة الالباب ، في بيان الكتاب) وهو : « فالكفرة والجاحدين في تكذيب تلك المعجزة مذاهب شتى . . . فمنهم من استفزتهم مع بهرد واكّ وبولس غلب حماقة الجهل ووساوس الكفر الى أن قالوا أن يسوع نزل عن الصليب حيا ودفن في القبر حيا »

وقال (في ص ٥٦٤ منه) ان اليهود والوثنيين وهم أعداء المسيح ودينه الحق قد توغلوا في بيداء الهذيان وتمادوا في إغواء ضلالهم حتى قالوا ان تلاميذ يسوع رفعوا جسده خفية وعلى

حين غفلة من الحراس وبثوا في القوم انه انبعث حيا وعندهم ان ذلك كان شائعا عند اليهود حين كتب القديس متى انجيله (عد ١٥ من فصل ٢٨ من متى) اه

(القول بهجرة المسيح الى الهند)

وموته في بلدة (سِريْ نَكرْ) في كشمير

يوجد في بلدة سري نكر او نقر (والهنود تكتب نكر بالكاف المفخمة وهي كالجيم المصرية) مقبرة فيها مقام عظيم يقال هناك انه مقام نبي جاء بلاد كشمير من زهاء الف وتسع مئة سنة يسمى يوزآسف(١) ، ويقال ان اسمه الاصلي عيسى صاحب (وكلمة صاحب في الهند لقب تعظيم كلقب افندي عند الترك ومستر ومسيو عند الافرنج) وانه نبي من بني اسرائيل وانه ابن ملك . وان هذه الاقوال مما يتناقله اهل تلك الديار عن سلفهم وتذكر في بعض كتبهم ، وان دعاة النصرانية الذين ذهبوا

---

(١) يحتمل أن يكون يوزاسف محرفا عن يسوع فقد اختلفت اللغات العبرية واليونانية والعربية وغيرها بهذا الاسم كما تراه في تراجم الانجيل ، وهكذا شأن جميع اللغات في التصرف في الاسماء

الى ذلك المكان لم يسعهم الا أن قالوا ان ذلك القبر لاحد تلاميذ المسيح او رسله ،

ذكر ذلك بالتفصيل غلام احمد القادياني الهندي في كتابه الذي سماه (الهدى . والتبصرة لمن يرى) وذكر فيه انه اكتفى بالاجمال وأن تفصيل هـذه المسألة يوجد في كتاب معروف هناك اسمه (إكمال الدين) وذكر اكثر من سبعين اسما من اسماء أهل ذلك البلد الذين قالوا ان ذلك القبر هو قبر المسيح عيسى بن مريم . ورسم صورة المقبرة بالقلم واما قبر المسيح فوضعه في الكتاب بالرسم الشمسي (الفوتغرافي) مكتوبا عليه (مقبره عيسى صاحب)

وغلام أحمد هذا يفسر الايواء في قوله تعالى (وجعلنا ابن مريم وامه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين) بالهجرة الى الهند واللجأ الى تلك البلدة في كشمير ، فان الإيواء يستعمل في مقام الإنقاذ والتنجية من الهم والكرب والمصائب والمخاوف ، واستشهد بقوله تعالى (ألم يجدك يتيما فآوى) وقوله (واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان

يتخطفكم الناس فآوا كم وأيد كم بنصره) وقوله حكاية عن ولد نوح (ساوي الى جبل يعصمني من الماء) والربوة المكان المرتفع و بلاد كشمير من أعلى بلاد الدنيا وهي ذات قرار مكين ، وماء معين ، والمشهور عند المفسرين ان هذه الربوة هي رملة فلسطين او دمشق الشام ، ولو آوى الله المسيح وأمه اليهما ، لما خفي مكانهما فيهما ، لا سيما اذا كان ذلك بعد محاولة صلبه وتألّب اليهود عليه ، كما يدل عليه لفظ الإيواء الذي لم يستعمل في القرآن الا في الانقاذ من المكروه كما علم من الامثلة المذكورة آنفا ، ومثلها قوله تعالى في الانصار رضي الله عنهم (والذين آووا ونصروا) وفي يوسف عليه السلام (آوى اليه اخاه قال اني انا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون) وفي آية أخرى (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) ولم يكن المسيح قبل تألب اليهود عليه والسعي لقتله وصلبه في مخافة يحتاج فيها الى الإيواء في مأمن منها . ففراره الى الهند وموته في ذلك البلد ليس ببعيد عقلا ولا نقلاً

﴿ الشبهة السابعة ﴾

يقولون انكم تأخذون بقول انجيل برنابا وغيره في هذا الموضوع وأقوال مبتدعة النصارى الاولين الذين زعموا أن يهوذا هو الذي صلب لا المسيح مع أن يهوذا قد انتحر كما ثبت في الانجيل

ونقول في الجواب اتفقت النصارى على القول بأن يهوذا الاسخريوطي هو الذي دل على يسوع المسيح وكان يهوذا هذا رجلا عاميا من بلدة تسمى (خريوت) في ارض يهوذا تبع المسيح وصار من خواص أتباعه الذين يلقبونهم بالتلاميذ الاثنى عشر الذين بشرهم بانهم يكونون معه في الملكوت على اثنى عشر كرسيا ويدينون بني اسرائيل ، أي يحاسبونهم في يوم الدين . ومن الغريب ان يهوذا كان يشبه المسيح في خلقه كما نقل (جورج سايل) الانكليزي في ترجمته للقرآن المجيد فيما علقه على سورة آل عمران ، وعزا هذا القول الى (السيرنثيين والكربوكراتيين) من أقدم فرق النصارى الذين أنكروا صلب المسيح وصرحوا بأن الذي صلب هو يهوذا الذي كان يشبهه شبها تاما

وقالت النصارى ان يهوذا اسف وندم على ما كان من اسلامه

المسيح الى اليهود حتى حمله ذلك على بخع نفسه (الانتحار) فذهب الى حقل وخنق نفسه فيه (متى ٢٧ : ٣ -- ١٠) أو علقها (اعمال ١ : ١٨) وغرضنا من هذا الخبر بيان انهم معترفون بان يهوذا فقد بعد حادثة الصلب ولم يظهر في الوجود وانهم يدعون ان سبب هذا هو قتل نفسه من الحزن والاسف. واختلف الرسل في كيفية القتل وان كانوا معصومين (؟).

ونحن نرى أنه انما فقد لأنه هو الذي صلب، والمسيح هو الذي نجاه الله تعالى ورفعه ، فان الذي يحمله انفعاله وألم نفسه على أن يبخع نفسه بيده خنقا او شنقا لا يستبعد منه ان يسلمها بالاستسلام الى من يتولى ذلك عنه فانه أهون عليه ، فمن المعقول أن يكون يهوذا عندما دل اليهود على المسيح في الليل رأى بعينيه عناية الله تعالى بانجائه وانقاذه من بين ايديهم (كما انجى اخاه محمدا عليهما الصلاة والسلام من أيدي كفار قريش وكانوا اشد معرفة له من معرفة اليهود المسيح — لانهم لم يكونوا يحتاجون الى بذل المال لمن يدلهم عليه كما بذلت اليهود ثلاثين قطعة من الفضة ليهوذا ـ فخرج ليلة الهجرة من بين الذين كانوا

ينتظرونه عند داره ليقتلوه ولم يبصروه) فلما رأى يهوذا ذلك وعلم درجة عناية الله تعالى بعبده ورسوله عظم ذنبه في نفسه واستسلم الموت ليكفر الله عنه ذنبه كما كفر ذنب الذين اتخذوا العجل من بني اسرائيل بقتل أنفسهم فأخذوه وصلبوه من غير مقاومة تذكر . فرواية الانجيل وسفر الاعمال عن وجدانه مخنوقا أو مشنوقا غير مسلمة وقد تعارض القولان فتساقطا ووجب اعتماد قول برنابا الذي أخذ به بعض قدماء النصارى .

واذا كان ايمان يهوذا قويا الى هذه الدرجة درجة الانتحار والبخع من ألم الذنب فليت شعري لماذا لا تقبل توبته ولا ينفعه ايمانه حتى ادعوا انه مات كافرا ، وان كرسيه في الملكوت سيبقى خاليا ، وبشارة المسيح له لا تكون صادقة ؟ ولماذا تقبل توبة بطرس الذي انكر المسيح وتركه ولعنه المسيح في حياته وسماه شيطانا ، على ان توبته دون توبة يهوذا ، وما كان يهوذا الا متمما الذريعة الفداء التي هي أساس الدين عندهم ؟

﴿ الشبهة الثامنة ﴾

يقولون إن المسيح قد قام من قبره بعد موته ودفنه وظهر

للنساء ولتلاميذه ولأناس آخرين ، وأرى بعضهم أثر المسامير في جسده ، وقد اتفقت على قيامه جميع الاناجيل ، فكيف يجمع بين هذا وبين القول بأن الذي صلب غيره

ونقول (أولا) انه لاثقة لنا برواية هذه الاناجيل ، وبينا الدلائل على عدم الثقة بها بالاختصار ، ومنها تعارضها في هذه المسألة ونبينها هنا بشيء من التطويل (وثانيا) انه يحتمل ان يكون لهذه الدعوى سبب ثم توسع القوم فيها كما هي عادتهم في الروايات عن العجائب والمستغربات ، حتى تسنى لبولس ومريديه أن يفرغوها في هذا القالب الذي نراه في كتب العهد الجديد. وسترى بيان هذا قريبا

أما البيان الاول ففي انجيل متى ان مريم المجدلية ومريم الاخرى (أي أم يعقوب) جاءتا وقت الفجر لتنظرا القبر فوجدتا الملك قد دحرج الحجر وجلس عليه فأخبرهما ان يسوع قام منه وسبق تلاميذه الى الجليل وهناك يرونه. فذهبتا لتخبرا التلاميذ فلاقاهما يسوع وسلم عليهما وقال لهما كما قال الملك. (راجع ٢٨ متى وهو الفصل الاخير)

وفي الفصل الاخير من مرقس ان النساء كن ثلاثة الثالثة سالومة وانهن جئن القبر عند طلوع الشمس ، وانهن رأين الحجر مدحرجا ولم يقل كمتى ان الملك كان قاعدا عليه بل قال انهن وجدن في القبر شابا عن اليمين ، وانه قال لهن « اذهبن وقلن لتلاميذه وابطرس انه يسبقكم الى الجليل » فزاد عطف بطرس على التلاميذ . وقال انهن هربن ولم يقلن لاحد شيئا اذ أخذتهن الرعدة والحيرة وكن خائفات ثم قال انه ظهر أولا لمريم المجدلية (أي دون من كان معها خلافا لمتى) فذهبت وأخبرت الذين كانوا معه فلم يصدقوا. ثم ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما منطلقان الى البرية . فأخبرا الباقين فلم يصدقوا . « ١٤ أخيرا ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لانهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام » وهذا مما زاده على متى

وأما لوقا فلم يتمل ان النساء اللواتي جئن لافتقاد القبر هن الثلاث اللواتي ذكرهن مرقس ولا الثنتان اللتين اقتصر عليهما متى بل ذكر انهن نساء كن جئن من الجليل مع يوسف

الذي دفن يسوع ونظرن القبر والدفن . وانهن جئن أول الفجر لا عند طلوع الشمس كما قال مرقس ، وانهن وجدن الحجر مدحرجا فدخلن القبر ولم يجدن الجسد فيه . ولم يقل انهن وجدن شابا فيه عن اليمين كما قال مرقس ولا الملك على الحجر خارجه كما قال متى . بل قال انهن بينما كن متحيرات اذا رجلان وقفا بهن بثياب براقة وقالا لهن لماذا تطلبن الحي بين الاموات (وهذا تعبير قد يؤيد قول من قالوا انه لم يمت) وذكرهن بقوله انه يسلم ويصلب وفي اليوم الثالث يقوم . ولم يأمرهن بإخبار التلاميذ بأن يسبقوه الى الجليل وانهم هناك يرونه ، كما قال متى ومرقس (١) . وقال انهن رجعن « وأخبرن الاحد عشر وجميع الباقين بهذا كله » فخالف مرقس الذي قال انهن لم يقلن شيئا . وقال ان هؤلاء النسوة هن مريم المجدلية ويونّا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن . وان التلاميذ وجميع الباقين لم يصدقوهن إذ تراءى لهم كلامهن كالهذيان .

(١) تكررت عبارة « وهناك يرونه » وهي تفيد الحصر أي لا يرونه الا هناك ثم انهم اتفقوا على انهم رأوه في غير ذلك المكان ولم يصرحوا بأنهم رأوه فيه !!

ثم ذكر أنه (أي يسوع) مشى مع اثنين منهم كانا منطلقين الى قرية عمواس وهي على ٦٠ غلوة من أورشليم (خلافا لمرقس الذي قال لاثنين منطلقين الى البرية) وقال ان أعينهما أمسكت عن معرفته. وانهما ذكرا قصته وانه كان « انسانا نبيا » وانه وبخهما و وصفهما بالغباوة و بطء القلوب في الايمان ، وانهما ضيفاه في القرية ، وانه لما اتكأ معهما وأخذ خبزا و بارك وكسر وناولهما انفتحت أعينهما فعرفاه ثم اختفى عنهما ، وانهما في تلك الساعة رجعا الى أورشليم ووجدا الأحد عشر (هكذا مع ان الظاهر انهما منهم فيكون الباقي تسعة) مجتمعين هم والذين معهم ويقولون انه ظهر لسمعان . فأخبراهم خبرهما . ولم يلبث ان ظهر لهم وأكل معهم

وأما يوحنا فقد خالف الثلاثة فذكر في الفصل ٢٠ أن مريم المجدلية جاءت الى القبر باكرا والظلام باق فنظرت الحجر مرفوعا فركضت الى سمعان بطرس والى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه وقالت لهما اخذوا السيد من القبر فركضا الى القبر ودخلا فيه فرأيا الاكفان موضوعة . وكانت مريم تبكي

خارج القبر ثم انحنت الى القبر فنظرت ملاكين جالسين واحد عند الرأس والآخر عند الرجلين : و بعد الكلام معهما عن سبب بكائها التفتت الى الوراء فنظرت يسوع واقفا فلم تعرفه وظنت انه البستانى . ثم تعرف اليها وأمرها أن تخبر التلاميذ بقوله « اني صاعد الى أبي وأبيكم و إلهي وإلهكم » فاخبرتهم

ثم ذكر ان التلاميذ كانوا مجتمعين عشية ذلك اليوم والابواب مغلقة خوفا من اليهود فجاء يسوع ووقف في الوسط وسلم عليهم . وان توما لم يكن معهم فظهر له بعد ثمانية أيام . ثم ذكر في الفصل ٢١ أنه أظهر نفسه للتلاميذ على بحر طبرية فلم يعرفوه أولا ثم اصطادوا سمكا بأمره وحضر غداءهم

هذا ملخص دعوى قيام يسوع من القبر برواية الاناجيل الاربعة . ويرى المتأمل فيها انها متعارضة متناقضة . ومن الغريب انه لم يصرح أحد منهم بأنه ظهر لهم في الجليل كما نقلوا عنه وعن الملك أو الملكين . والقاعدة الاصولية في المتعارضين اذا لم يمكن الجمع بينهما ولا ترجيح احدهما على الآخر أن يقال « تعادلا فتساقطا » وبهذه القاعدة التي لا مندوحة عن القول

بها في هذه القصة وغيرها من التعارض في هذه الاناجيل اتقاء الوقوع في الترجيح بغير مرجح نقول ان روايات الاربعة ساقطة لا يعتد بشيء منها . فهذا هو بيان الوجه الاول من وجهي الجواب .

واما الوجه الثاني المبني على احتمال ان يكون لهذه الدعوى سبب أو أصل بني عليه فبيانه أنه يحتمل ان يكون قد شاع في ذلك الوقت ان يسوع قد قام من قبره وانه رآه بعض النساء وبعض تلاميذه واضطربت الاقوال في ذلك فكتب كل مؤلف انجيل ما سمعه . وأن يكون سبب الاشاعات تخيل مريم المجدلانية العصبية المزاج (التي روت هذه الاناجيل ان المسيح اخرج منها سبعة شياطين) أنها رأت المسيح وكلمته . ويجوز أن تكون الرؤية الخيالية اتفقت لغيرها أيضا من التلاميذ أو غيرهم بعد أن سمعوها منها ومثل هذا يقع كثيرا كما سيأتي بيانه بالشواهد

وامثال هؤلاء العامة لا يقدرون على التمييز بين الحقيقة والخيال . ألم تر انهم يروون ان المسيح وبخهم على غباوتهم

وضعف إيمانهم بعد ان كانوا عاشروه زمنا رأو فيه ما أيده الله تعالى به من الآيات ، أو لم تر أنهم ما كان بعضهم يصدق بعضا بل يتهم بعضهم بعضا بالكذب والهذيان ، وأنهم لضعفهم تركوا نبيهم وقت الشدة وانكره أمثلهم وارتشى عليه بعضهم؟ فأمثال هؤلاء الصيادين والنساء لا يستغرب منهم عدم التمييز بين الحقيقة والخيال ، وطالما وقع مثل ذلك في حال الانفعالات العصبية للناس ، كالحزن والخوف والعشق ، يتراءى للانسان في مثل هذه الاحوال شخص يكلمه زمنا طويلا او قصيرا كما يحصل في الرؤى والاحلام . و بعضهم يعد هذا من رؤية الأرواح ، وقد راجت سوق هذه المسألة في أوربة في هذا العصر ، حتى صاروا يزعمون ان فيهم من يستحضر الروح ، وكان هذا معروفا في الزمن السابق، ولذلك احترس عنه بعض مؤلفي هذه الاناجيل فقال انه لما ظهر لهم خافوا وظنوا أنهم يرون روحا فنفى هو ذلك

وقد كنا بينا هذه المسألة في كتابنا (الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية) الذي ألفناه في زمن التحصيل.

وقد قلنا فيه ان الصوفية يفرقون بين رؤية الارواح والرؤية الخيالية. ومما أوردناه عن صاحب كتاب الذهب الابريز من القسم الثاني واقعة جرت في بلدهم (فاس) قال : اخبرني بعض الجزارين انه مات له ولد كان يحبه كثيراً وانه لم يزل شخصه في فكره حتى ان عقله وجوارحه كانت كلها معه ، فكان هذا دأبه ليلا ونهارا الى ان خرج ذات يوم الى باب الفتوح احد ابواب فاس حرسها الله تعالى لشراء الغنم على عادة الجزارين فجال فكره في أمر ولده الميت فبينما هو يجول فكره فيه اذ رآه عيانا وهو قادم اليه حتى وقف الى جنبه . قال فكلمته وقلت له : ياولدي خذ هذه الشاة (لشاة اشتريتها) حتى أشتري اخرى ، وقد حصلت غيبة قليلة عن حسي . فلما سمعني من كان قريبا أتكلم مع الولد قالوا : مع من تتكلم انت؟ فلما كلموني رجعت الى حسي وغاب الولد عن بصري ، فلا يدري ما حصل في باطني من الوجد عليه الا الله تبارك وتعالى اه

وما كل من يقع له مثل هذا يعلم ان هذه رؤية خيالية

كالرؤيا المنامية . وإنني اعرف امرأة كبيرة السن من اهل بلدنا (القلمون) كانت دائما ترى الموتى وتخاطبهم وتأنس بخطابهم تارة ويظهر عليها الانقباض اخرى. وكان أكثر حديثها مع اخ لها مات غريقا. وكنت أجزم أنا وكل من عرفها بأنها غير كاذبة ولا متصنعة بل كانت هائمة في ذلك ولا تبالي بشيء

ولا يغرن العاقل انتشار أمثال هذه الاشاعات بين العامة ، وجعلها من القضايا المسلمة ، فإن هذا معهود في الناس في كل عصر ، وقد بينه الفيلسوف العالم الاجتماعي غوستاف لوبون الفرنسي بياناً علمياً في الفصل الثاني من كتابه (روح الاجتماع) ومما قاله في بيان قابلية الجماعات للتأثر والتصديق وانخداع الحواس والفكر ما يأتي ملخصاً :

« ان سرعة تصديق الجماعة ليس هو السبب الوحيد في اختراع الاقاصيص التي تنتشر بين الناس بسرعة بل لذلك سبب آخر وهو التشويه الذي يعتور الحوادث في مخيلة المجتمعين اذ تكون الواقعة بسيطة للغاية فتنقلب صورتها في خيال الجماعة بلا ابطاء لان الجماعة تفكر بواسطة التخيلات ، وكل تخيل

يجر الى تخيلات ليس بينها و بينه أدنى علاقة معقولة . . .

« ولقد كان يجب تعدد صور التشويش التي تدخلها الجماعة على حادثة شاهدتها وتنوع تلك الصور لان أمزجة الافراد الذين تتكون هي منهم مختلفة متباينة بالضرورة . لكن المشاهد غير ذلك ، والتشويش واجب عند الكل بعامل العدوى ، لان أول تشويش تخيله واحد من الجماعة يكون كالخميرة تنتشر منه العدوى الى البقية . فقبل أن يرى جمع الصليبين القديس جورج فوق اسوار بيت المقدس كان بالطبع قد تخيله أحدهم أولا فما لبث التأثر والعدوى ان مثلاه للبقية جسما مرئيا .

« هكذا وقعت جميع التخيلات الاجماعية الكثيرة التي رواها التاريخ وعليها كلها مسحة الحقيقة لمشاهدتها من الألوف المؤلفة من الناس

« ولا ينبغي في ردّ ما تقدم الاحتجاج بمن كان بين تلك الجماعات من أهل العقل الراجح والذكاء الوافر لانه لا تأثير لتلك الصفة في موضوعنا إذ العالم والجاهل سواء في عدم القدرة

على النظر والتمييز ما داموا في الجماعة ، ورب معترض يقول : ان تلك سفسطة لان الواقع غير ذلك الا أن بيانه يستلزم سرد عدد عظيم من الحوادث التاريخية ولا يكفي لهذا العمل عدة مجلدات ، غير اني لا أريد أن أترك القارئ امام قضايا لا دليل عليها ولذلك سآتي ببعض الحوادث أنقلها بلا انتقاء من بين الالوف من الحوادث التي يمكن سردها.

« وأبدأ برواية واقعة من أظهر الأدلة في موضوعها لانها واقعة خيال اعتقدته جماعة ضمت الى صفوفها من الافراد صفوفاً وأنواعاً ما بين جاهل غبي ، وعالم ألمعي ، رواها عرضاً ربان السفينة (جوليان فيليكس) في كتابه الذي ألفه في مجاري مياه البحر وسبق نشرها في (المجلة العلمية) قال :

« كانت المدرعة (لابيل پول) تبحث في البحر عن الباخرة (بيرسو) حيث كانت قد انقطعت عنها بعاصفة شديدة وكان النهار طالعا والشمس صافية وبينما هي سائرة اذا بالرائد يشير الى زورق يساوره الغرق فشخص رجال السفينة الى الجهة التي أشير اليها ورأوا جميعاً من عساكر وضباط زورقاً

مشحونا بالقوم تجره سفن تخفق عليها أعلام اليأس والشدة. وكل ذلك كان خيالاً فقد أنفذ الربان زورقا صار ينهب البحر انجادًا للبائسين. فلما اقترب منهم رأى من فيه من العساكر والضباط اكداساً من الناس يموجون ويمدون أيديهم، وسمعوا ضجيجا مبهماً يخرج من أفواه عديدة، حتى اذا بلغوا المرئي وجدوه أغصان أشجار مغطاة بأوراق قطعت من الشاطئ القريب، واذ تجلت الحقيقة غاب الخيال.

« هذا المثال يوضح لنا عمل الخيال الذي يتولد في الجماعة بحال لا تحتمل الشك ولا الابهام — كما قررناه من قبل — فهنا جماعة في حالة الانتظار والاستعداد، وهناك رائد يشير الى وجود مركب حفه الخطر وسط الماء، فذلك مؤثر سرت عدواه فتلقاه كل من في الباخرة من عساكر وضباط بالقبول و لاذعان »

ثم بين المؤلف ان مثل هذا الانخداع يقع للجماعات المؤلفة من العلماء فيما هو بعيد عن اختصاصهم العلمي. واستشهد على ذلك بالواقعة الآتية:

(قال) « ومن الامثلة على ذلك ما رواه لنا (موسيو دافي) أحد علماء النفس المحققين وقد نشرته حديثا مجلة (أعصر العلوم النفسية) وهو : دعا (موسيو دافي) جماعة من كبار أهل النظر منهم عالم من أشهر علماء انكلترة وهو (مستر ولاس) وقدم لهم أشياء لمسوها بأيديهم و وضعوا عليها ختوما كما شاءوا ثم أجرى امامهم جميع ظواهر فن استخدام الارواح من تجسيم الارواح، والكتابة على الالواح ، حتى كتبوا له شهادات قالوا فيها ان المشاهدات التي وقعت أمامهم لا تنال الا بقوة فوق قوة البشر، فلما صارت الشهادات في يده بين لهم ان جميع ما عمله شعوذة بسيطة جدا . قال راوي الحادثة ليس الذي يوجب الدهش والاستغراب في هذه المسألة هو ابداع (دافي) ومهارته في الحركات التي عملها بل هو ضعف الشهادات التي كتبها أولئك العلماء » ثم استنتج المؤلف من ذلك انه اذا كان انخداع العلماء بما لا حقيقة له واقعا فما أسهل انخداع العامة !

ثم ذكر حادثة وقعت في اثناء كتابته لهذا البحث وخاضت فيها جرائد باريس وكان منشأ الانخداع فيها الشبه الذي هو

موضوع بحثنا قال (في ص ٥٠ من النسخة العربية المترجمة)
« أنا أكتب هذه السطور والجرائد ملأى بذكر غرق
بنتين صغيرتين واخراج جثتيهما من نهر (السين) عرضت الجثتان
فعرفهما بضعة عشر شخصا معرفةمؤكدة واتفقت أقوالهم فيها
اتفاقا لم يبق معه شك في نفس قاضي التحقيق فأذن بدفنهما .
وبينما الناس يتأهبون لذلك ساق القدر البنتين اللتين عرفهما
الشهود بالاجماع وظهر انهما باقيتان ولم يكن بينهما وبين
المفقودتين الا شبه بعيد جدا . والذي وقع هو عين ماوقع في
الامثلة التي سردناها : تخيل الشاهد الاول ان الغريقتين هما
فلانة وفلانة فقال ذلك ، فسرت عدوى التأثير الى الباقي اه .

تبين مما تقدم أن الاشاعات التي تبنى على تخيل بعض
الناس كثيرة تقع في كل زمان ومكان . وينخدع بها العلماء
كالعوام ، وانما بين غوستاف لوبون انها جارية على سنن
الاجتماع ، وليست مما يجهل تعليله من الفلتات والشواذ . وانا
بعد كتابة ماتقدم بأيام جاءتنا مجلة المقتطف (الصادرة في ٢٣
المحرم من هـذا العام ١٣٣١) فقرأنا في مقالة فيها عنوانها

(مناجاة الارواح والبحث في النفس) ان أربعة من علماء الانكليز وكبار عقلائهم الثقات شاهدوا واقعة من وقائع مستحضري الارواح احتاطوا فيها أشد الاحتياط لئلا تكون غشا أو شعوذة . وكان الوسيط فيها أي الذي يستحضر الروح رجلا اسمه (مستر هوم) وقد شهد أولئك العلماء الثقات أنهم شاهدوا الروح المستحضر فخاطب كلا منهم باسمه وأجابه عما سأله عنه وان أحدهم سأله : ألك جسم حقيقي أم أنت خيال ؟ فقال ان جسمي أقوى من جسمك ، فامتحنه بوضع أصبعه في فيه فألفاه حارا وأسنانه صلبة حادة وعضه عضة صرخ من ألمها .

قال المقتطف بعد ذكر الواقعة انه يحتمل أن تكون شعوذة من (مستر هوم) أي وان كان أولئك العلماء قد ربطوا يديه ورجليه بأسلاك من النحاس الى كرسي متصل بالموقد موثقا بذلك الرباط ولحموا الاسلاك بلحام معدني وقالوا انه لا يمكن لقوة بشرية أن تزيحه من مكانه مالم تقطع الاسلاك المعدنية، ثم رأوه بعد مشاهدة الواقعة كما تركوه في قيوده وأغلاله

(ثم قال المقتطف وهو محل الشاهد) « واذا لم يكن (هوم) قد فعل ذلك فلا يستحيل أن يكون كوكس وكروكس وغلتون قد خدعوا كلهم فرأوا مالا يُرى وسمعوا مالا يُسمع لانه كما يحتمل أن يفعل بعض الناس أفعالا خارقة لا يستطيع غيرهم فعلها يحتمل أن يتخيل بعضهم انهم يرون ويسمعون مالا حقيقة له في الخارج ، كيف لا والنائم والحادس يريان ويسمعان مالا وجود له »

أقول فاذا جاز في رأي علماء العصر وفلاسفته أن ينخدع العلماء الطبيعيون وغيرهم بالتخيل فكيف لايجوز أن ينخدع به مثل مريم المجدلية العصبية (الهستيرية) وتوما واخوانه من صيادي السمك. واذا جاز أن يتخيل ضباط المدرعة (لا بيل پول) وعسكرها وبحارتها زورقا يساوره الغرق فيجزمون بأنهم رأوه بأعينهم وهو مكتظ بالمستنجدين المستغيثين وهم يرون أيديهم تومئ وتشير، ويسمعون جلبتهم بالصياح والضجيج، واذا جاز أيضا أن يتخيل جماهير الصليبيين القديس جورج فوق أسوار بيت المقدس فيظنوا انهم رأوه حقيقة ، فلماذا لا يجوز مثل

هـذا التخيل في أولئك الافراد الذين نقل عنهم انهم رأوا المسيح بعـد حادثة الصلب ان صحت الرواية على انقطاع سندها ؟ واذا جاز أن يجزم بضعة عشر شاهدا في البنتين اللتين غرقتا في نهر السين جزما مبنيا على ماشبه لهم ، فلماذا لا يجوز ان يجزم بمثل ذلك في يهوذا الذي كان يشبه المسيح ، من لم يكونوا يعرفون المسيح

وقع في عصرنا هـذا واقعتان من قبيـل مسألة رؤية المسيح ورؤية القديس جورج (احداهما) وقعت في الشام منذ سنين وهي ان رجلاً اسمه علي راغب اشتغل بالتصوف والرياضة فغلبت عليه الخيالات فـكان اذا تخيل شيئاً مهما عنده يتمثل له كأنه حاضر بين يديه . وقد اشتغـل زمنا بقراءة الاناجيل حتى كان يحفظ منها ما لايكاد يحفظه أحد من النصارى ، ثم انه عاشر بعض النصارى في دمشق حتى كان يحضر كنائسهم ، فكثر تخيـله لقصـة الصلب التي قرأها في الاناجيل فرأى المسيح مرة متمثلا أمامه بالصورة التي ذكروا انه كان عليها عند الصلب ورأى أثر المسامير في يديه فاعتقد

أن هذه الرؤية حسية حقيقيـة وخطب في النصارى بذلك فصدقوه وقالوا انه قدّيس. وشاعت المسألة ولغط الناس بها.
ثم التقى الشيخ طاهر الجزائري بالشيخ راغب هـذا وتحدثا في المسألة فلم يفجأه الشيخ طاهر بالتخطئة بل شغل باله وخياله بآيات المسيح وبما كان له من القدرة على الظهور بأشكال مختلفة (كما ذكروا في الانجيل) وانتقل من هذا الى مسألة إلقاء شبهه على يهوذا وما بينه الله تعالى من التشبيـه لهم ، فما زال يحدثه بمثل هذا حتى ذهب ولقصـة الصلب في خياله صورة أخرى فرأى المسيح متمثلا أمامه وليس في يديه ولا غيرها أثر للصلب ، فسأله عن حقيقة مسألة الصلب فقال له : ألقيت على يهوذا صورة من صوري فأخذوه وصلبوه. فذهب الشيخ راغب وخطب في النصارى بهذه الرؤية فنبذوه واعتقدوا انه مجنون. فهذه الرؤية تشبه رؤية توما للمسيح عليه الصلاة والسلام

وأما الواقعة الثانية فهي ان بعض الناس في هذه الايام تخيل ان الشيخ المتبولي خرج من قبره المعروف بجوار محطة مصر في القاهرة ووقف على قبته ثم طار في الهواء ونزل على الكنيسة

الجديدة التي ينشئها اليونانيون ، ولما شاع هذا الخبر في القاهرة اجتمع خلق كثير من العامة عند الكنيسة وصاروا يهتفون باسم المتبولي ففرقتهم الشرطة والشحنة بالقوة وادعى كثيرون منهم انهم رأوا المتبولي فيها . وروت بعض الجرائد اليومية ان مجذوبا من أبناء السبعين قال أنا المتبولي فصدقه الناس وصاروا يتبركون به. ولولا حزم الحكومة لحدث بين عوام المصريين واليونانيين من جرّاء هذه المسألة فتن سفكت فيها الدماء ولكن الحكومة تداركت ذلك وفرقت شمل الجماهير وقبضت على بعضهم وحبستهم

هذا وان كثيرا من الصوفية الذين يناجون الارواح يرون المسيح وأمه كثيرا . وقد تعرّف الي بعضهم وهو أعجمي من أصحاب المظاهر الدنيوية يخفي تصوفه عن أقرانه وأخبرني أنه يرى أرواح الانبياء ويتلقى عنهم علوما يكتبها بالعربية ، وانه رأى عيسى ومريم عليهما السلام مرارا وتلقى عنهما ، ومن ذلك انه سأل مريم عن تمثل الملك لها ونفخه فيها فأجابته عن ذلك وانه حصل من ذلك نحو ما يحصل بالزواج

من التلقيح . وسألته أنا عن استحضار الارواح الذي نسمعه عن الافرنج هل هو مثل مايذكره عن نفسه، و يؤثر عن الصوفية من قبله، فقال إن بعضه حيل و بعضه له أصل دون ماعندنا وأبعد عنه بمراحل . وانا لا أتهم هذا الرجل بالكذب عن نفسه ولا أتهم الامام الغزالي فيما رواه عن نفسه من مثل ذلك أيضا. وانما أقول اذا كانت هذه الرؤية خيالية أيضا كرؤية الشيخ راغب فهي تؤكد ما نحن فيه من جواز مثل ذلك على جماعة المسيح . وان كانت حقيقية وهي ولا شك أعلى وأكمل مما يثبته الكثيرون من علماء الافرنج فهي مصدقة لخبر القرآن في قصة المسيح ، وناقضة لتلك العقيدة الخيالية ، المقرر مثالها عند الامم الوثنية .

حاصل المباحث والشك في وجود المسيح

حاصل هذه المباحث ان قصة الصلب ليس لها سند متصل الى الافراد الذين رويت عنهم ، وأولئك الافراد الذين رووها غير معروفين معرفة يقينية كما يعلم من دائرة المعارف الفرنسية وغيرها من الكتب التي ألفها علماء أوربة الاحرار . وان الذي

يؤخذ من مجموع تلك الروايات المنقطعة الاسناد أن أول من وضع هذه العقيدة النصرانية المعروفة الآن هو بولس اليهودي الذي كان أشد أعداء المسيح عليه السلام وألد خصوم اتباعه خصاما . ثم رأى انه لا يتمكن من نكايتهم وافساد امرهم ، الا بدخوله فيهم ، ففعل . وعلى تقدير وقوع الصلب ورؤية المسيح بعده فالذي يقرب من المعقول في تصويره هو ما بيناه.

ولا يروعن القارئ المستقل الفكر هذه الشهرة المنتشرة بانتشار النصارى في افطار الارض ، وما لهم فيها من القوة والايد ، فانما العبرة في إثبات الوقائع والحوادث كونه في زمن وقوعها ، كما ثبت القرآن المجيد في زمن نزوله حفظا وكتابة ، ألم تر ان هذه الشهرة المنتشرة للمسيح عليه السلام لم تمنع بعض علماء اوربة الاحرار من الشك في وجوده نفسه ، ولا من ترجيح كون قصته خيالية ، لا حادثة الصلب والقيام منها فحسب . كما أن بعضهم يرى مثل هذا الرأي في بعض آلهة الوثنيين ، وفي (هوميروس) شاعر اليونان ، الذي تضرب بشعره الامثال ، فهو أشهر رجل في تاريخ امته الذي هو من اشهر تواريخ الامم

الغابرة . ومثله في تاريخ امتنا العربية قيس العامري الشهير بمجنون ليلى . ذكر في الاغاني روايات عن بني عامر انه غير معروف عندهم . وانه قيل ان الشعر الذي ينسب اليه هو لبعض كبراء بني امية عزاه الى مجهول تستراً بعشقه

مثل هذا في التاريخ كثير فهو غير مستبعد عقلا ولكننا نحن المسلمين نؤمن بالمسيح لا لذكره في اناجيلهم وكتبهم فكم في الكتب من قصص خيالية مثل قصته ، بل لان القرآن اثبت وجوده ونبوته والقرآن ثابت عندنا قطعا فنؤمن بكل ما اثبته . وان لي كلمة قديمة اذكرها في هذا السياق الذي لم اتوسع فيه الا لرد هجمات دعاة النصرانية الذين اسرفوا في الطعن في الاسلام وهي : إن إثبات القرآن للمسيح هو أقوى حجة على منكري آيات المسيح عليه السلام واقوى شبهة على القرآن . فان الشبهات التي يوردها الملاحدة والعقليون من النصارى وامثالهم على إثباته كون المسيح وامه آية وان الله آتاه آيات اخرى ـ هي اقوى الشبهات الواردة على القرآن ، ولكن ردها سهل على قاعدة الايمان بقدرة الله تعالى وتصرفه

في خلقه كما يشاء . ومن آيات كون القرآن من عند الله تعالى عدم موافقته للنصارى في رواياتهم في الصلب والتثليث ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الجمع بين الاسلام والنصرانية

إن تلك الاقوال المعروفة عند النصارى دفعت بعض الراغبين في التأليف بينهم وبين المسلمين الى الجمع بين ما جاء في القرآن العزيز وما يؤخذ من الاناجيل بنوع من التأويل. وهو ان قول القرآن « وما قتلوه يقينا » يشعر بأنه قد حصل ما هو مظنة القتل لانه صورة من صوره ، ووسيلة من وسائله ، وهو ذلك التعليق على الخشبة الذي كان بدون كسر عظم ولا اصابة عضو رئيسي ولم يطل زمنه فكأنه ليس صلبا . وعندهم أن هذا هو معنى قوله « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم» وهذا التأويل بعيد وما قررناه من قبل هو الاقرب

وممن ولع بالجمع بين النصرانية البولسية التي تؤخذ من الكتب التي يسمونها العهد الجديد وبين الاسلام قسيس من طائفة الروم الارثوذكس اسمه (خريستوفورس جباره) كان برتبة

ارشمندريت وكاد يكون مطرانا، فخلع ثوب (الكهنوت) وطفق يدعو الى التأليف والجمع بين الاسلام والنصرانية ، ويقول بعدم التنافي بينهما ، ويؤلف الكتب في ذلك ، يثبت فيها التوحيد وصدق القرآن ، ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، مع صحة الاناجيل وتطبيقها على القرآن ، ولكن لم يستطع أن يؤلف حزبا ، وإنني أعتقد أنه كان مخلصا في عمله ، وكان الاستاذ الامام يحسن الظن به أيضا ويرى أن دعوته لا تخلو من فائدة وتمهيد للتأليف بين الناس ، وظهور دين الله الحق في جميع البلاد . والحق ان الاسلام هو دين محمد ودين المسيح ودين جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولكن المحال هو الجمع بين دين القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبين الديانة البولسية المبنية على أن الثلاثة واحد حقيقة والواحد ثلاثة حقيقة ، وعلى عقيدة الصلب والفداء الوثنية . وكيف يمكن الجمع بين التوحيد والتثليث ، وبين عقيدة نجاة الانسان وسعادته بعلمه وعمله ، وعقيدة نجاته بايمانه بلعن ربه

لنفسه ، وتعذيبه إياها عن عبيده ، وإن لم يتم له مراده من ذلك ،

ألا إن القرآن هو الجامع المؤلف ، ولكن ترك دعوته المنتمون اليه فكيف يستجيب له المخالف ، فدين التوحيد والتأليف لا يقوم بدعوته أحد ، ولا يحمي دعاته أحد ، ولا يبذل له المال لهداية الناس أحد ، ودين التعديد والفداء تبذل له القناطير المقنطرة من الدنانير ، ويستأجر لدعوته الالوف من المجادلين والعاملين ، وتحميهم الدول القوية بالمدافع والاساطيل ، على انا لا نيأس من روح الله ، فكما وفق لتأليف جماعة الدعوة والارشاد ، فهو الذي يوفق لمساعدتها من أراد ، والله خلقنا من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ، وما هي الا أن يستيقظ المسلمون من رقدتهم ، ويتنبهوا من غفلتهم ، ويعرفوا الغرض من حرص الافرنج على تنصيرهم ، وان اول بلايا دعوتهم ، وما ينشرون من صحفهم وكتبهم ، وينشئون من مدارسهم ومستشفياتهم ، هو ابطال ثقة المسلمين بدينهم ، وحل الرابطة التي تجمع بين افرادهم وشعوبهم ، حتى يكونوا طعمة للطاعمين ، بل عبيدا للطامعين ، فاذا انتبهوا

وفقهوا ، عرفوا كيف يحفظون انفسهم ودنياهم بحفظ دينهم ، وتوثيق رابطته بينهم ، والاستغناء عن الجمعيات والمستشفيات ، التي ينشئها جمعيات التغرير بالتبشير لهدم الاسلام ، بانشاء خير منها لإعلاء منار الاسلام ، الذي هو دين العقل والعرفان ، والعدل والعمران ، الذي اكمل الله به دين الانبياء عليهم السلام ، ويجذبون اليه من في بلاد أمريكة وأوربة من المستقلين الاحرار ، حتى تكون كلمة الله هي العليا في كل مكان ، — لا إله الا الله ، محمد رسول الله ، وآخر دعوانا ان الحمد لله ،

﴿ بهاء الله البابي ومسيح الهند القادياني ﴾

يعلم الخاص والعام انه ورد في علامات الساعة من الاخبار انه يخرج رجل من آل بيت النبي (ص) يقال له المهدي يملأ الارض عدلا ، بعد أن تكون قد ملئت جورًا ، وينزل في آخر مدته عيسى بن مريم من السماء فيرفع الجزية ويكسر الصليب ويقتل المسيح الدجال . وليس هذا مقام تحرير هذه المسألة وانما اقتضت الحال ان نذكر من ضررها انها لانتظار

المسلمين لها ، ويأسهم من اعادة عدل الاسلام ومجده بدونها ، قد كانت مثار فتن عظيمة ، فقد ظهر في بلاد مختلفة وازمنة مختلفة أناس يدعي كل واحد منهم انه المهدي المنتظر ، يخرج على أهل السلطان ، ويستجيب له كثير من الاغرار ، فتجري الدماء بينهم و بين جنود الحكام كالانهار ، ثم يكون النصر والغلب للاقوياء بالجند والمال ، على المستنصرين بتوهم التأييد السماوي وخوارق العادات . وقد ادعى هذه الدعوى أيضا أناس من الضعفاء أصابهم هوس الولاية والاسرار الروحية فلم يكن لهم تأثير يذكر

كانت آخر فتنة دموية من فتن هذه الدعوى فتنة مهدي السودان ، وكانت قبلها فتنة (الباب) الذي ظهر في بلاد إيران ، وأمره مشهور . وقد بنى بعض أتباعه على أساس دعوته بناء من انقاض تلك الدعوى ولكنه جاء أكبر منها . ذلك المدعي هو ميرزا حسين الملقب ببهاء الله ، ادعى الربوبية وبث دعاته في المسلمين والنصارى وغيرهما ، ومما يدعون به النصارى الى دينهم قولهم ان البهاء هو المسيح الموعود به . وقد بينا

فتنتهم في المنار ورددنا عليهم مرارا

وظهر في الهند رجل آخر سلمي (بالطبع) ادعى أنه هو المسيح الموعود به . وهو غلام احمد القادياني الذي نقلنا عن بعض كتبه نبأ التجاء المسيح عيسى بن مريم الى الهند ، وهو إنما عني ببيان ذلك ليجعله من مقدمات إثبات دعوته . وقد كان قبل موته أرسل الي الكتاب الذي نقلت عنه ماذكر وغيره من كتبه التي يدعو بها الى نفسه ، فرددت عليه في المنار فهجاني في كتاب آخر وتوعدني بقوله عني « سيهزم فلا يرى » وزعم ان هذا نبأ وحي جاءه من الله جل وعلا ، وقد كان هو الذي انهزم ومات

كان هذا الرجل يستدل بموت المسيح ورفع روحه الى السماء كما رفعت أرواح الانبياء ، على انه هو المسيح الموعود به ، ولا يزال أتباعه يستدلون بذلك. وقد جرى على طريقة أدعياء المهدوية من شيعة إيران (كالباب والبهاء) في استنباط الدلائل الوهمية على دعوته من القرآن حتى انه استخرج ذلك من سورة الفاتحة! وله في تفسيرها كتاب في غاية السخف يدعي انه معجزة له !! فجعلها مبشرة بظهوره وبأنه هو مسيح هذه

الأمة . وانما فتح على هذه الأمة هذا الباب الغريب من أبواب تأويل القرآن وتحريف ألفاظه عن المعاني التي وضعت لها ، الى معان غريبة لا تشبهها ولا تناسبها ، أولئك الزنادقه من المجوس وأعوانهم الذين وضعوا تعاليم فرق الباطنية ، فراجت حتى عند كثير من الصوفية . ولمن يستدل بالكلم على ما لا يدل عليه في استعمال لغته أن يستدل بما شاء على ما شاء ، وهو يجد من جاهلي اللغة وفاقدي الاستقلال العقلي من يقبل منه كل دعوى ،

والحق أنه ليس في القرآن نص يثبت أن عيسى ينزل من السماء ويحكم في الأرض . وأما الاحاديث الواردة في ذلك فهي تخالف دعوى القادياني ، فان منها انه ينزل في دمشق لا في الهند ، ومنها انه يقتل الدجال الذي يظهر قبله ، ومنها انه يحكم ويملأ الارض عدلا ولا يزال الظلم والجور وسفك الدماء مالئا الارض . وناهيك بما هو جار منها في بلاد البلقان في هذه الايام . فان دول البلقان النصرانية ماظهروا على العثمانيين في مكان ، الا واسرفوا في قتل الكبار والصغار ،

والنساء والاطفال ، ونسف ديارهم بالديناميت أو احراقهم بالنار ، بعد سلب الاموال وهتك الاعراض . وكل هذا يعمل باسم الصليب ورفع شأنه ، فأين هو مما ورد من كسر المسيح للصليب ، وما كان القادياني الا خاضعا لدولة من دول الصليب ولكن من شؤون البشر انه لا يدعوهم أحد الى شيء مهما كان بعيدا عن المعقول والمنقول الا ويجد فيهم من يصدقه ويستجيب له . فنسأل الله التأييد بالهداية ، والحفظ من الغواية . آمين

نظريتي (*

﴿ في قصة صلب المسيح وقيامته من الاموات ﴾

ذهب علماء الافرنج المحققون في تعليل منشأ هذه المسألة مذاهب شتى لانهم لا يعتقدون حصول هذه القيامة الموهومة .

---

*) من قلم الدكتور محمد توفيق افندى صدقي

ولسنا في حاجة الى نقل جميع آرائهم تفصيلا في مثل هذه المقالة ومن شاء الاطلاع على شيء من ذلك فليقرأ مؤلفات رينان، وأدوارد كلود، ودائرة المعارف المتعلقة بالتوراة، وكتاب دين الخوارق وغير ذلك . وإنما نريد الآن أن نقول كلمة مسهبة في هذا الموضوع لنزيل الغشاوة عن أعين هؤلاء الناس المقبلين بالمبشرين وهي نظريتي (١) في هذه المسألة فنقول : ـ

كان بين تلاميذ المسيح رجل يدعى (يهوذا) وهو من قرية تسمى (خريوت) في أرض يهوذا فلذا عرف (بالأسخريوطي)

---

(١) حاشية : النظرية هي الرأي الذي يقال لتفسير بعض المسائل وتعليل بعض الحقائق تعليلا عقليا مقبولا فنحن في هذه المقالة قد فرضنا جدلا صحة أكثر ما في هذه الاناجيل من الحكايات وسلمنا أن لبعضها الآخر أصلا صحيحاً وما رفضناه منها انما هو لسبب معقول . ولكن علمنا بما فعل منتحلو النصرانية الاقدمون من التلاعب والتحريف والغش والتزوير فيما وصل الى ايديهم من الكتب سواء كانت لهم أو لغيرهم من الامم وافتجارهم الرسائل الكثيرة والكتب العديدة ونسبتها الى غير مؤلفيها كل ذلك يحملنا على الشك في جميع مانقلوه ورووه ولذلك ترى علماء النقد الآن في أوربة يشكون في جميع هذه الكتب المقدسة عندهم ويرفضونها بالبراهين العلمية العقلية التاريخية الصحيحة ومنهم من تغالى حتى أنكر وجود المسيح نفسه في العالم لكثرة ماعلمه عن القوم من الاباطيل والاختراعات والاكاذيب والمفتريات (راجع دائرة معارف التوراة مجلد ٣ ص ٣٦٢٠ وكتاب شهود تاريخ يسوع وكتابات المستر ج م . روبرتسن)

وكان يشبه المسيح في خلقتـه شبها تاما (١) ومن المعلوم أن المسيح كان يدعو الناس إلى دينه في الجليـل ولـكنه كان يذهب إلى أورشليم كل سنة في عيـد الفصح كما هي عادة اليهود فزارها في السـنة الأولى من بعثته وكان هو وأتباعه الجليليون محتقرين فيها لان اليهود كانوا يحتقرون أهـل الجليل وخصوصا سكـان (الناصرة) (٢) فما كان أحـد يبالي بهم أو يلتفت إليهم ، وفي السنة الثالثة من بعثته لما زارها في المرة

---

(١) حاشية : ذكر العلامة جورج سيل الانـكليزي في ترجمتـه للقرآن الشريف في سورة آل عمران ص ٣٨ أن السيرنثيين (Cerinthians) والـكربوكراتيين (Carpocratians) وغيرهم من اقدم فرق النصارى قالوا ان المسيح نفسه لم يصلب وانما صلب واحد آخر « من تلاميذه يشبهه شبها تاما » . وفي انجيل برنابا صرح بأن هذا التلميذ الذي صلب بدل المسيح هو يهوذا الاسخريوطي وهو الذي قالت عنه كتبهم انه انتحر يوم الصلب (مت ٢٧ : ٣ ـ ٨) لانهم لم يجدوه والظاهر انهـم لم يعرفوا حقيقة ما حدث له ولذلك اختلفت تفاصيل قصته في سفر الاعمال (١ : ١٨ ـ ٢٠) عما في انجيل متى . فلهذا كله ذهبنا الى انه كان يشبه المسيح وانه هو الذى صلب بدله كما فى المتن

(٢) حاشية ـ : دعوى ولادة المسيح في (بيت لحـم) قد كذبها علماء النقد في أوربة وبينوا أن الاحصاء الذي يقول لوقا انه حمل مريم أم عيسى ويوسف على السفر الى بيت لحم للاكتتاب هناك (لو ٢ : ١ ـ ٧) لم يحدث الا في مدة ولاية كيرينيوس الثانية أي بعد ولادة عيسى =

لأخيرة من حياته كان شأنه قد ارتفع عن ذي قبل وكثرت أتباعه فحقدعليه رؤساء اليهود الذين استاءوا من أقواله وأعماله وتعاليمه فصمموا على الفتك به واتفقوا مع يهوذا الاسخريوطي على أن يدل مبعوثيهم عليه ليقبضوا عليه فذهب يهوذا معهم ودلهم عليه فانهم ما كانوا يعرفونه (مرقس١٤ : ٤٣ ـ ٤٦) فأمسكوه وكان ذلك ليلا وساقوه الى بيت رئيس الكهنة فتركه جميع تلاميذه وهربوا (مر ١٤ : ٥٠) ولكن تبعه بطرس من بعيد ثم أنكر علاقته به وفر هو أيضا هاربا (وأما دعوى صاحب الانجيل الرابع أن يوحنا تبعه أيضا (يو ١٨ : ١٥ ـ ١٨) فالظاهر أنهامخترعة من واضعه لمدح يوحنا كماسيأتي بيانه وإلا لذكرها الثلاثة الانجيليون الآخرون)

ولما كان الصباح ساقوه الى بيلاطس الذي كان يود

= بنحو ١٠ سنين على الاقل . والذي حمل النصارى على هذا التلفيق رغبتهم في تطبيق نبوات اليهود وأفكارهم على المسيح (كما في ميخا ٥ : ٢ ـ ٩) فان اليهود كانت تعتقد أن المسيح لا بد أن يكون من نسل داود ومولودا في مدينته التي ولد فيها (بيت لحم) مع أن نسل داود كان قد انقرض قبل زمن المكابيين ولم يقف أحد له على أثر (راجع الفصل الثاني والخامس عشر من كتاب رينان في حياة المسيح

إنقاذه منهم ولكن الظاهر من الاناجيل أنه لم يفلح فحكم بصلبه فأخذه العسكر إلى السجن حتى يستعدوا للصلب ففر من السجن هاربا إما بمعجزة أو بغير معجزة كما فر بعض أتباعه بعده من السجون أيضا (راجع أع ١٢: ٦ - ١٠ و١٦: ٢٥ و٢٦) وربما ذهب الى جبل الزيتون ليختفي (انظر مثلا يو ٨: ١ و٥٩ و١٠: ٣٩ و١١: ٥٣ - ٥٧) وهناك توفاه الله أو رفعه اليه بجسمه أو بروحه فقط فخرج الحراس للبحث عنه. وكان يهوذا مسلمه قد صمم على الانتحار وخارجا ليشنق نفسه في بعض الجبال (متى ٢٧: ٣ - ١٠) ندما وأسفا على ما فعل فلقيه الحراس، ونظرا لما بينه وبين المسيح من الشبه التام فرحوا وظنوه هو وساقوه إلى السجن (١) متكتمين خبر هروبه

---

(١) حاشية: فإن قيل ان الذي يفهم من هذه الاناجيل أن الصلب كان عقب صدور أمر بيلاطس مباشرة فلم يكن ثم وقت لهروبه من السجن ولا للقبض على غيره كما تقول، قلت: وهل يوثق بما في هذه الاناجيل من التفاصيل المتضاربة المتناقضة في كل جزئية من جزئيات حياة المسيح كما بينه بالتفصيل التام كثير من علماء الافرنج أنفسهم كصاحب كتاب دين الخوارق (Supernatuarl Religion) وغيره؟ ألا ترى أن هذه الاناجيل اختلفت حتى في نفس يوم الصلب وساعته وفي يوم صعود المسيح الى السماء ؟ فقد نصت الثلاثة الاول منها على أن المسيح أكل الفصح مع تلاميذه كعادة اليهود (أي في يوم ١٤ نيسان)

خوفاً من العقاب ولما وجد يهوذا أن المقاومة لا تجدي نفعاً ولما

(راجع متى ٢٦ : ١٧ و ٢٩ و ٣٦ و ٤٧ ومر ١٤ : ١٢ و ١٦ ولو ٢٢ : ٧ و ١٣) وأن عشاءه الاخير كان في يوم الفصح المذكور ولذلك اتخذه النصارى خصوصاً في أسيا الصغرى عيداً من قديم الزمان. ثم صلب في اليوم الثاني للفصح (أي في ١٥ نيسان) ولكن الانجيل الاخير جعل هذا العشاء ليس في يوم الفصح بل عشاء آخر عاديا قبل الفصح كما في الاصحاح ١٣ منه (أي في يوم ١٣ نيسان) فيكون الصلب وقع في يوم ١٤ منه أي يوم عيد الفصح نفسه والذي حمل مؤلفه على على ذلك هو أنه أراد أن يجعل هذا العيد اليهودي رمزاً الى المسيح كأنه هو خروف الفصح الذي يذبح في هذا اليوم بخلاف الاناجيل الاخرى فانها نصت على أن الخروف كان ذبح قبل يوم الصلب وأكله المسيح نفسه مع تلاميذه وسن فريضة العشاء الرباني في هذا اليوم لذكراه لانه كان يوم وداعه وأعظم أعياد الشريعة الموسوية . ولكن الانجيل الرابع يتجاهل هذه الفريضة كما يفهم من الاصحاح ١٣ المذكور ويقول بعد ذلك ان محاكمة المسيح أمام بيلاطس كانت وقت استعداد اليهود للفصح في الساعة السادسة وأن اليوم التالي لهذا الاستعداد كان يوم السبت وكان عظيما عند اليهود أي لانه أول أيام الفطير (راجع يو ١٩ : ١٤ و ٣١) وهو صريح في أن الصلب وقع في يوم الاستعداد الذي يذبح في مساءه خروف الفصح أي يوم ١٤ نيسان وعليه فلم يجعل المسيح هذا اليوم عيداً بحسب الانجيل الرابع ولذلك تركت كنيسة رومة وأكثر النصارى عيد الفصح هذا واستبدلوا به عيد القيامة وقد وقعت بينهم وبين نصارى أسيا الصغرى مناقشة عنيفة في هذا الموضوع في أواخر القرن الثاني وأصر أهل أسيا على جعل يوم عيد الفصح اليهودي (١٤ نيسان) عيداً لهم أيضاً لانهم يقولون ان يوحنا الذي كان مقيما في وسطهم وغيره من تلاميذ المسيح كانوا يحتفلون بهذا العيد كما رواه يوسيبيوس في القرن الرابع عن بوليكارب

طرأ عليه من التهيج العصبي والاضطراب النفساني الشديد واليأس

تلميذ يوحنا وروى بوليقراط (Polycrates) أسقف أفسس في آخر القرن الثاني عن يوحنا مثل هـذا أيضا . فكيف اذاً اتخذ يوحنا هذا اليوم (يوم الفصح اليهودي) عيداً مع أنه لم يذكر في انجيله — اذا صح أنه هو الكاتب له — أن المسيح جعله عيداً كما قالت الاناجيل الثلاثه الاخرى بل صلب فيه فلم يكن فيـه فريضة العشاء الرباني ولا أكل الفصح في هذه السنة ؟ (راجع كتاب دين الخوارق ص ٥٥٢ و٥٥٣ ٥٦٣ و٥٦٤) وقد نص يوحنا على أن المسيح كان مقبوضاً عليه قبل أن يأكلوا الفصح (١٨ : ٢٨) مع أن الاناجيل الاخرى نصت على أن القبض عليه كان بعد أكل الفصح فهل بعد ذلك يقال انهم متفقون ؟ وهل هذه العبارة تقبل أيضا التأويل ؟

أما ساعة الصلب فهي أيضا مختلفة في الاناجيل كما قلنا ففي انجيـل مرقص أنه صلب في الساعة الثالثة (مر ١٥ : ٢٥) وفي انجيل يوحنا (١٩ : ١٤) أنه لم يصلب الا بعد الساعة السادسة . فان قيل ان ما ذكره يوحنا هو بحسب اصطلاح الرومان . قلت وكيف يجري يوحنا على هذا الاصطلاح مع أنه كتب انجيله في اسيا الصغرى ولا يجرى على هـذا الاصطلاح مرقص الذي كتب انجيـله في رومة نفسها بناء على طلب الرومان منه ذلك كما رواه اكليمندس الاسكندري ويوسيبيوس وجيروم وغيرهم ؟ ؟ على اننا اذ راجعنا انجيل يوحنا نفسه ظهر لنا نقض هـذه الدعوى فانه قال (يو ١٨ : ٢٨) انهم جاءوا بيسوع من عند (قيافا) الى بيلاطس في الصبح فخرج اليهم بيلاطس لمحاكمته ثم أخذ يسوع الى دار الولاية (عدد ٣٣) وناقشه مدة ثم خرج الى اليهود (٣٨) ثم أخذ يسوع وجـلده (١٩ : ١) واستهزأت به العسكر ثم أخرجه اليهم (١٩ : ٤) وناقش اليهود في أمره ثم دخل الى دار الولاية (١٩ : ٩) وتكلم مع المسيح ثم اخرجه وجلس على كرسي الولاية في موضع يقال

الذي يصيب عادة المنتحرين قبل الشروع في الانتحار، ولاعتقاده أنه بقتل نفسه يكفر عما ارتكب من الاثم العظيم ولعله أن

له البلاط وبالعبرانية جباثا (١٩ : ١٣) فكانت الساعة السادسة (يو ١٩ : ١٤) فاذا كان المراد بهذه الساعة الساعة الرومانية اي في الصباح كما يقولون فكم كانت الساعة اذاً حينما اتوا بالمسيح الى بلاطس وقت الصبح كما قال يوحنا نفسه (يو ١٨ : ٢٨) أفلم تستغرق كل هذه المحاكمة والدخول والخروج بالمسيح والتكلم معه ومع اليهود زمنا ما وهل عملت كلها في لحظة واحدة في الصباح نحو الساعة السادسة ؟؟ وكم كانت الساعة اذاً حينما أيقظوا بيلاطس في الصبح من نومه لمحاكمته؟ ومتى أرسله الى هيرودس كما يقول لوقا (٢٣ : ٧ـ ١١)؟ فالحق أن المراد بالساعة هنا الاصطلاح العبراني الذي جرى عليه مرقس وغيره لا الاصطلاح الروماني كما يزعمون . ولذلك حرفوا هذه العبارة في بعض نسخهم وكتبوها الثالثة بدل السادسة (يو ١٩ : ١٤) لرفع هذا الاشكال !!

اما اختلافهم في يوم صعود المسيح الى السماء فبيانه : ان المسيح بحسب انجيل متي كما سنبينه (٢٨ : ١٦ و ١٧) صعد بعد ظهوره لرسله من الجليل اى بعد مدة طويلة من قيامته من الموت

وفي انجيل لوقا أنه صعد في يوم قيامته من مدينة اورشليم نفسها (لو ٢٤ : ١ و ١٣ و ٢١ و ٢٩ و ٣٣ و ٣٦ و ٤٩ و ٥٠ ـ ٥٣) فمتى اذاً ظهر لهم في الجليل ؟

وفي انجيل يوحنا (٢٠ : ٢٦) انه ظهر لهم بعد ثمانية ايام وأكثر ٢١ : ١ من قيامته اى ان الصعود لم يكن في يوم قيامته كما في انجيل لوقا

ومن العجيب انهم يقولون ان لوقا هو مؤلف سفر الاعمال ايضا وتراه في هذا السفر يقول انه صعد من أورشليم بعد اربعين يوما (اع ١ : ٣ ـ ٩) وهو خلاف ما في انجيله ويخالف ايضا انجيل متى ومرقس (مر ١٦ : ٧) فان المتبادر منهما أن الصعود كان من الجليل لا من اورشليم =

قتله بيد غيره أهون عليه من قتل نفسه بيده ـ لهذه الاسباب كلها استسلم للموت استسلاما تاما ولم يمنه يبدت شفة رغبة منه في تكفير ذنبه و إراحة لضميره بتحمله العذاب الذي كان سلم سيده لاجله (١) ولما جاءت ساعة الصلب اخرجوه وساروا به وهو صامت ساكت راض بقضاء الله وقدره ونظرا لما أصابه من التعب الشديد والسهر في ليلة تسليمه للمسيح وحزنه واضطرابه لم يقو على حمل صليبه أو أنه رفض ذلك فحملوه لشخص آخر يسمى سمعان القيرواني وذهبوا الى مكان يسمى الجمجمة خارج أورشليم وهناك صلبوه مع مجرمين آخرين فلم يكن هو وحده موضع تأمل الناس وإمعانهم ولم يكن أحد من تلاميذ المسيح حاضرا وقت الصلب إلا بعض نساء كن واقفات من بعيد ينظرن الصلب (مت ٢٧ : ٥٥) ولا يخفى أن قلب النساء لا يمكنهن من الامعان والتحديق إلى المصلوب في مثل هذا الموقف وكذلك بعد موقفهن عنه

فانظر الى مقدار اختلافهم وتضاربهم حتى في هذه المسألة الهامة ! ! فهل بعد ذلك نلام لاننا لا نعول على كل عبارة من عبارات اناجيلهم في هذه المقالة ؟ !

فلذا اعتقدن أنه هو المسيح . وأما دعوى الانجيل الرابع (١٩ : ٢٦) أن مريم أم عيسي و يوحنا كانا واقفين عند الصليب فالظاهر أنها مخترعة كالدعوى السابقة لمدح يوحنا أيضا إذ يبعد كل البعد (كما قال رينان) ان تذكر الاناجيل الثلاثة الأول اسماء نساء أخريات وتترك ذكر مريم امه و تلميذه المحبوب (يوحنا) - كما يسمى نفسه بذلك في أغلب المواضع - اذا صح أنه هومؤلف الانجيل الرابع (انظرأصحاح ١٣ : ٢٣ و٢١ : ٢٠ وغيرذلك كثير)

هذا وقلة معرفة الواقفين للمسيح لانه كان من مدينة غير مدينتهم (راجع يوحنا ص ٧) وشدة شبه يهوذا به وعدم طروء أي شيء في ذلك الوقت يشككهم فيه كل ذلك جعلهم يوقنون أن المصلوب هو المسيح، حتى اذا شاهد القريبون منه تفاوتا قليلا في خلقته حملوه على تغير السحنة الذي يحدث في مثل هذه الحالة ومن مثل هذا العذاب . وكم في علم الطب الشرعي من حوادث ثابتة اشتبه فيها بعض الناس بغيرهم حتى كان منهم من عاشر امرأة غيره الغائب بدعوى أنه هو وجازت

الحيلة على الزوجة والاهل والاقارب والمعارف وغيرهم ثم عرفت الحقيقة بعد ذلك. وأمثال هذه الحوادث مدونة في كتب هذا العلم في باب تحقيق الشخصية (Identification) فليراجعها من شاء

ومنهم من شابه غيره حتى في آثار الجروح والعلامات الاخرى واللهجة في الكلام (راجع الفصل الاول من كتاب أصول الطب الشرعي لمؤلفيه جاي وفرير الانكليزيين)

فلا عجب إذن اذا خفيت حقيقة المصلوب عن رؤساء الكهنة والعسكر وغيرهم وخصوصا لانهم ما كانوا يعرفونه حق المعرفة ولذلك أخذوا يهوذا ليدلهم عليه كما سبق فاشتبه عليهم الامر كما بينا وكان المصلوب هو يهوذا نفسه الذي دلهم عليه فوقع فيما كان دبره لسيده (أنظر مز ٦ : ٨ - ١٠ و ٧ : ١٥ ومز ٣٧ وأمثال ١١ : ٨ و ٢١ : ١٨)

ولما كان المساء جاء رجل يسمى يوسف فأخذ جسد المصلوب ووضعه في قبر جديد قريب ودحرج عليه حجرا

وكان هذا الرجل يؤمن بالمسيح ولكن سرا (يو ١٩: ٣٨) ومن ذلك يعلم أنه ما كان يعرف المسيح معرفة جيدة تمكنه من اكتشاف الحقيقة وخصوصا بعد الموت فإن هيئة الميت تختلف قليلا عما كانت وقت الحياة لاسيما بعد عذاب الصلب. وروى الانجيل الرابع وحده أن رجلا آخر يدعى نيقوديموس ساعد يوسف في الدفن أيضا (١٩ : ٣٩) وكان هذا الرجل عرف (يسوع) من قبل وقابله مرة واحدة في الليل (يو ٣ : ١ ـ ١٣) فمعرفته به قليلة جدا وكانت ليلا منذ ثلاث سنين تقريبا أي في أوائل نبوته. وفي كتب الطب الشرعي والمجلات الطبية عدة حوادث خدع فيها الابوان والاقارب بجثث موتى آخرين (راجع كتاب الطب الشرعي المذكور صفحة ٣٢ منه) فما بالك اذا لم يكن الشخصان الدافنان للمصلوب يعرفانه حق المعرفة كما بينا

لذلك اعتقد جمهور الناس وقتئذ أن المسيح صلب ومات ودفن فحزن تلاميذه وأتباعه حزنا شديدا وفرحت اليهود وشمتوا بهم ولو أمكن التلاميذ احياءه من الموت لفعلوا ففكر منهم واحد أو اثنان في إزالة هذا الغم الذي حاق بهم وما لحقهم من

اليهود من الشماته والاحتقار والذل فوجد أن أحسن طريقة لازالة كل ذلك ولاغاظة اليهود أن يسرق جثة المصلوب من القبر ويخفيها في مكان آخر ليقال إنه قام من الاموات ولم تفلح اليهود في إعدامه إلا زمنا قليلا وهكذا فعل وأخفى الجثة

فلما مضى السبت الذي لا يحل فيه العمل لليهود جاءت مريم المجدلية الى القبر في فجر يوم الاحد فلم تجد الجثة فدهشت وتعجبت وأسرعت الى بطرس (ويقول الانجيل الرابع كما هي عادته الى يوحنا أيضا) وأخبرتهما أن الجسد فقد من القبر فذهبا معها ووجدا كلامها صحيحا فقالا « لابد إنه قام من الموت » (انظر يو ٢٠ : ٨ و ٩) وهذا القول هو أقرب تفسير يقال من تلاميذ المسيح المحبين له المؤمنين به وربما كانا هما المخفيين للجثة أو أحدهما (بطرس) ولذلك نجده في سفر الاعمال وفي الرسائل يتكلم أكثر من يوحنا عن قيامة المسيح بل أكثر من جميع التلاميذ الآخرين

أما مريم المجدلية فمكثت تبكي لعدم وجود الجثة وعدم معرفتها الحقيقة وكانت عصبية هستيرية (وبتعبير أناجيلهم

كان بها سبعة شياطين (مرقص ١٦ : ٩)) فخيل لها أنها رأت المسيح ففرحت وأسرعت وأخبرت التلاميذ (يو ٢٠ : ١٨) أنها رأته وأما النساء الأخريات اللاتي ذهبن الى القبر فلم يرينه كما يفهم من انجيل مرقص ولوقا وغاية الامر أنهن رأين القبر فارغا و بعض الكفن الابيض باقيا فخيل لبعضهن وكلهن عصبيات أن ملكا كان واقفا في القبر وأمثال هذه التخيلات الخادعة كثيرة الحصول للناس وخصوصا للنساء عند القبور وفي وقت الظلام (يو٢٠ : ١) وما حادثة قيام (المتبولي) من قبره عند عامة أهل القاهرة ببعيدة. ويجوز أنهن رأين رجلين من أتباع المسيح ممن لا يعرفنهم وكانا هما السارقين للجثة ففزعن منهما وغشاهن حتى ظنن أنهما ملكان بثياب بيض (أنظر لو ٢٤ : ٤) فكثرت أحاديث هؤلاء النسوة كل منهن عما رأته ومنها نشأت قصص الاناجيل في قيامة المسيح كما نشأت الحكايات الكثيرة المتنوعة عن قيامة المتبولي في هذه الايام في مصر ولذلك اختلفت « قصة القيامة » في الاناجيل اختلافا عجيبا يدل على أن كل كاتب أخذ ما كتب

عما حوله من الاشاعات والروايات المختلفة التي لم تكن وقتئذ مرتبة ولا منظمة

ويظهر من هذه الاناجيل أن التلاميذ بعد ذلك صاروا محاطين بالوساوس والاوهام من كل جانب حتى إنهم كانوا كلما لاقاهم شخص في الطريق واختلى بهم أو أكل معهم ظنوه المسيح واو لم يكن يشبهه في شيء ظنا منهم أن هيئته تغيرت (مر ١٦ : ١٢ ولوقا ٢٤ : ١٦ ويو ٢١ : ٤ — ٧) فكانت حالهم أشبه بحال العامة من سكان القاهرة الذين التفوا منذ زمن قريب حول رجل سائر في الطريق في صبيحة اشاعة انتقال المتبولي من قبره وكلهم يصيحون (سرك يامتبولي) كما ذكرته بعض جرائد العاصمة التي روت تلك الحادثة في ذلك الحين لاعتقاد الناس أنه هو المتبولي الذي قام من قبره وكانوا يعدون بالمئات ان لم يبلغوا الالوف . ولايبعد أن بعض أولئك الناس الذين لاقاهم التلاميذ كان بلغهم تلك الاشاعات عن قيامة المسيح فكانوا يضحكون من التلاميذ ويسخرون منهم ويأتون من الأعمال والحركات مايوهم التلاميذ أن ظنهم

فيهم هو صحيح كما كان ذلك الرجل السابق ذكره يقول للناس لما رآهم التفوا من حوله « أنا المتبولي . أنا المتبولي »

وروى الدكتور كاربنتر في كتابه (أصول الفسيولوجيا العقلية) ص ٢٠٧ ان السير والتر سكوت (Sir Walter Scott) رأى في غرفته وهو يقرأ صديقه اللورد بيرون (Lord Byron) بعد وفاته واقفا أمام عينيه فلما ذهب اليه لم يجد شيئا سوى بعض ملابس وهي التي أحدثت هذا التخيل الكاذب (Illusion) وفي حريق قصر البلور (Crystal Palace) في سنة ١٨٦٦ خيل لكثير من الناس أن قردا يريد الفرار من النار بتسلقه على قطع حديدية كانت في سقف هناك والناس وقوف يشاهدون هذا المنظر متألمين ، ثم اتضح أنه لم يكن ثم قرد مطلقا وانما هو منظر كاذب كما حكاه الدكتور تيوك (Dr. Tuke) وذكر الدكتور هبرت (Dr. Hibbert) في مقال له أن جماعة كانوا في مركب فشاهدوا امامهم طباخا لهم يمشي وكان مات منذ بضعة أيام فلما وصلوا اليه وجدوا قطعة من خشب طافية على سطح الماء ، وهناك أمثلة أخرى عديدة

كهذه يعرفها المطلعون على علوم الفسيولوجيا والپسيكولوجيا والامراض العقلية وكان المخدوعون فيها عدة اشخاص

ويدخل في هذا الباب (باب الخيالات الكاذبة والاوهام) دعوى القبط في مصر أنهم في ثاني يوم لعيد النيروز « اي ٢ توت من السنة القبطية » اذا نظروا الى جهة الشرق بعد طلوع الشمس بقليل رأوا رأس يوحنا المعمدان كأنه في طبق والدم يسيل من جوانبه وقد اكد لي بعضهم — وهو من الصادقين عندي — أنه رأى ذلك المنظر بعيني رأسه في الافق وكثير من نسائهم يقلن انهن رأينه أيضا !!

ومن ذلك أيضا ما كان يراه القدماء وخصوصا النصارى في أوروبا في القرون الوسطى وقت ظهور ذوات الاذناب في السماء كالذي ظهر عندهم في سنة ١٥٥٦ ميلادية فانهم رأوا فيه وفي غيره سيوفا من نار وصلبانا وفرسانا على الخيل وغزلانا وجماجم قتلى إلخ إلخ وكانوا يتشاءمون من هذه المناظر وينزعجون منها ، وقد رسم بعضهم صور ما كانوا يرونه من ذلك ونشر في كتبهم (راجع كتاب « الفلك للعاشقين »

تأليف كاميل فلامريون ص ١٨٧ و ١٨٩) .

ورأى اليهود قبل خراب أورشليم نحو ذلك أيضا في السماء كمركبات وجيوش بأسلحتها تركض بين الغيوم حتى تشاءموا منها كثيرا . وفي عيد الخمسين لما كان الكهنة داخلين ليلا في دار الهيكل الداخلي سمعوا صوتا كأنه صوت جمع عظيم يقول (دعنا نذهب من هنا) إلى غير ذلك من الاوهام والخيالات التي وصفها مؤرخهم الشهير يوسيفوس في بعض كتبه وذكرها أيضا تاسيتوس مؤرخ الرومان وهي أوهام لم تخل أمة من مثلها في كل زمان ومكان !! وقد تظهر أيضا مناظر عجيبة كهذه في الافق من انكسار أشعة الشمس في طبقات الهواء (Mirage) راجع كتاب « الرسل » لرينان ص ٤٢ في رؤية المسيح في الجليل بعد الصلب .

أما دعوى الانجيل الاول (متى) أن حراسا ضبطوا القبر وختموا عليه (٢٧ : ٦٦) فهي كما قال العلامة (ارنست رينان) اختراع يراد به الرد على اليهود الذين ذهبوا إلى القول بسرقة الجثة حينما أكثر النصارى من القول بالقيامة بعد المسيح بعدة

(انظر مت ٢٨ : ١٥) ولذلك لم ترد قصة حراسة القبر في الاناجيل الاخرى ولو كانت حقيقية لما تركوها وهي مهمة جدا فهي الرد الوحيد الذي أمكن لكاتب الانجيل الاول أن يبتكره لدفع ما ذهب اليه اليهود في ذلك الزمان . وزد على ذلك أن هذا الاصحاح (٢٧) من انجيل متى قد اشتمل على غرائب أخرى كانفتاح القبور وقيام الراقدين من الموت ودخولهم المدينة ، الخ الخ (٢٧ : ٥١-٥٤) وكل هذه أشياء يراد بها التهويل والمبالغة ولا يخفى على عاقل مكانها من الصحة ولذلك رفضها المحققون من علماء أوروبا اليوم . ولو وقعت لكانت أغرب ما رأى الناس ولتوفرت الدواعي على نقلها فنقلها كتبة الاناجيل كلهم ممن اعتمدت الكنيسة أناجيلهم ومن غيرهم ولاشتهرت فنقلها المؤرخون كيوسيفوس وغيره .

ولا ندري متى قال المسيح لليهود إنه سيقوم في اليوم الثالث ؟ ولماذا لم يظهر نفسه لهم ؟ وما فائدة هذا الجسد المادي الذي كان يحتاج للاكل والشرب بعد القيامة (لو ٢٤ : ٤١ و٤٢) حتى يحيا بعد الموت ويبقى إله العالمين مقيدا به إلى

الابد ؟ نعم ورد في انجيل يوحنا أنه قال لليهود (٢ : ١٩) (انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه) ولكن نصت هذه الاناجيل على ان اليهود لم يفهموا هذا القول بل ولا تلاميذ المسيح أنفسهم (انظر لوقا ١٨ : ٣٤ ويو ٢ : ٢١ و ٢٢ و ٢٠ : ٩ ومر ٩ : ٣٢) وقد كذب هذه العبارة متى نفسه فقال إنها شهادة زور (٢٦ : ٦٠ و ٦١) فكيف إذا أرسل اليهود (كما قال متى) حراسا ليضبطوا القبر خوفا من ضياع الجثة ؟ وأي شيء نبههم إلى ذلك العمل مع أن أقوال المسيح لم يفهمها نفس تلاميذه إذا صح أنه قال هذه العبارة أو غيرها ؟ أما قوله لليهود (متى ١٢ : ٤٠) (لانه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان في قلب الارض ثلاثة أيام وثلاث ليال) فقد قال فيه بعض محققيهم (مثل بالس وشاتر) إنه زيادة من كاتب الانجيل للتفسير . وهي زيادة خطأ فانه لم يمكث إلا يوما وليلتين ولذلك لم ترو هذه الزيادة في انجيل من الاناجيل الاخرى . وقول متى ١٢ : ٣٩ (ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي) يريد به أنه كما آمن

أهل نينوى بيونان (يونس) من غير أن يروا منه آية كذلك
كان الواجب أن تؤمنوا بي بدون اقتراح آيات و بدون عناد،
ولذلك قال بعد ذلك ٤١ (رجال نينوى سيقومون في الدين
مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان. وهوذا أعظم
من يونان ههنا) وفي القرآن الشريف نحو ذلك أيضا (فلولا كانت
قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم
عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) وعلى كل حال ،
اذا كان نفس تلاميذه لم يفهموا ذلك الا بعد قيامته (يو ٢٠ : ٩)
مع أنه كان أخبرهم به أيضا على انفراد(مت ٢٠: ١٧) فكيف
فهمه اليهود قبلهم ؟ وكيف لم يصدق التلاميذ قيامته حينما أخبروا
بها (مر ١٦: ١١) ؟ اذا صح أن المسيح أنبأهم بها من قبل ؟
وكيف يعقل أن رؤساء الكهنة والفريسيين يذهبون الى بيلاطس
في يوم السبت كما قال متى(٢٧ : ٦٢) وينجسون أنفسهم
بالدخول اليه و بالعمل في السبت كضبط القبر بالحراس وختم
الحجر (مت ٢٧ : ٦٦) مع أنهم هم الذين لم يقبلوا الدخول
الى بيلاطس يوم محاكمة المسيح خوفا من أن ينجسوا أنفسهم

فخرج هو اليهم كما قال يوحنا (١٨ : ٢٨) وهم الذين سألوه اكراما للسبت أن لا يبقى المصلوبون على الصليب فيه (يو ١٩ : ٣١) فما هذا التناقض وما هذا الحال ؟

ولنرجع الى ما كنا فيه : وقد اعتقد جمهور الناس في ذلك الوقت أن المصلوب هو المسيح وأنه قام من الموت ولما لم يجدوا يهوذا الاسخريوطي قالوا انه انتحر بشنق نفسه وربما أنهم بعد بعض أيام وجدوا خارج أورشليم في بعض الجبال جثة مشقوقة البطن من التعفن الرمي فظنوها جثته (اع ١ : ١٨)

ولما كان بعض التلاميذ يستبعدون الموت على المسيح لشدة حبهم وتعظيمهم له - كما فعل بعض الصحابة عقب موت رسول الله (ص) - ذهب بعضهم بالرأي والاجتهاد الى ان المصلوب لابد أن يكون غير المسيح وقالوا إنه إما يهوذا او واحد آخر وخصوصا لأنهم لم يعلموا أين ذهب يهوذا . ومن ذلك نشأت مذاهب مختلفة بين النصارى الاولين في مسألة الصلب والقيامة كانت أساسا لفرق كثيرة ظهرت بعدهم ذكرناها مرارا سابقة في المنار وغيره مما كتبنا . لذلك قال تعالى (وان الذين اختلفوا

فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا)

فساد مذهب القائلين بالصلب لانه هو الظاهر مما شوهد إذ ذاك وساعد على نشره القول بالقيامة ودعمه بولس ومن وافقه بنظرياتهم في الخلاص (١) والفداء و ببعض نصوص من العهد القديم لَوَوْها وأولوها بحسب أوهامهم وأفكارهم وقد

(١) حاشية : اذا صحت عقيدة النصارى في الصلب وخلاص البشر به، فلماذا لم يقتل المسيح نفسه أو يطلب من تلاميذه أن يقتلوه قربانا لله بدلا من أن يوقع اليهود في هذا الاثم العظيم ؟ فكأن الله تعالى بعد أن دبر هذه الوسيلة لخلاص الناس من سلطة الشيطان لم يقدر أن يخلص بها أحب الشعوب اليه المفضلين على العالمين الذين خصهم كما يقولون بالوحي والنبوة والمعجزات العظيمة من قديم الزمان ولم يعتن بأحد غيرهم اعتناءه بهم حتى جعلهم الواسطة الوحيدة لهداية البشر أجمعين الى دينه الحق !! أما كان هؤلاء الناس أولى بالخلاص دون سواهم فلماذا إذاً أوقعهم في هذا الذنب العظيم بصلبهم المسيح بدون ارادته مع انه كان يمكنه أن يقدم ابنه (هذا البرئ) بدون ايقاعهم في هذا الاثم الكبير !! ألا يدل ذلك لو صح على أن الشيطان قد نجح في اهلاك أحباب الهم وشعبه المختار وعجز هذا الاله عن تخليصهم من مخالبه بعد ان فكر في ذلك مدة طويلة ثم صلب نفسه و مع ذلك لم تنجح حيلته !! فوا أسفا على مثل هذا الا له الضعيف الذي غلبه الشيطان وجعله يندم على خلقه الانسان ويحزن (تك ٦:٦و٧) وأوقعه في الحيرة والارتباك من قبل ومن بعد الطوفان (تك ٨: ٢١ و٢٢ و١١ : ٦و٧ الخ الخ) وما أغناه عن هذا كله لولا حبه في سفك الدماء كثيراً (أنظر سفر القضاة ١١: ٢٩ــ٤٠) حتى سفك دم نفسه وقاده الشيطان الى هذا الانتحار (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)وجاءه

بينا بطلانها في كتاب (دين الله) وقد رفض بولس هذا وجميع رسائله اقدم فرقهم القديمة كالابيونيين (Ebionites) أي الفقراء

من قبل ذلك مجرباً وممتحنا ليسجد له وليكفر (مت ٤ : ١ – ١٠) ولم يكتف بذلك (على حسب زعمهم) بل أصاب ويصيب عبادة بالصرع وأنواع الشلل والبكم والصمم والجنون والعتاهة وغير ذلك من الامراض التي تنسبها كتبهم الى تأثير الشيطان ولا يقدرون الا ن على تخليص الناس من شره وسلطانه، فما أعظمه عندهم من لعين قادر حتي قهر العالمين والههم فمن منهما سحق الا خر على ما يقول سفر التكوين (٣ : ١٥) (سبحان ربك رب العزة عما يصفون)

واذا صح أن المسيح ادعى الالوهية بين اليهود (يو ٨ : ٥٨ و١٠ : ٣٠ و٣٣) فأى ذنب عليهم في قتله وهم لم يفعلوا شيئاً سوى تنفيذ ما أمرهم الله تعالى به على لسان موسى . قال في سفر التثنية ١٣ : ١ (اذا قام في وسطك نبي أو حالم حلما وأعطاك آية أو أعجوبة ٢ ولو حدثت الاية أو الاعجوبة التي كلمك عنها قائلا لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها وتعبدها الى قوله ٥ وذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم يُقتل) فاذا كان الله يعلم أن المسيح سيدعي الالوهية ويدعو الناس لعبادته فلماذا وضع هذا الحكم في الشريعة الموسوية ؟ ولما أنفذه اليهود اطاعة له كرههم وغضب عليهم فلم هذا التضليل ولم هذا الظلم ؟ فمقتضى عقيدة النصارى أن الله تعالى عاجز جاهل ولذلك ما كان يعلم المستقبل وكان كما يقول سفر التكوين يضطر للنزول (!!) ليشاهد بنفسه أعمال البشر (تك ١١ : ٥ و٦ و١٨ : ٢١) التي أغضبته وجعلته يندم ويحزن فكأنه ما كان يعلم ماذا يصير اليه أمر الانسان ولذلك ترى أنه بعد أن دبر طريقة الخلاص ومات صلبا لم يخلص من البشر الا قليل بالنسبة لمجموعهم وأهلك بسبب ذلك أفضل أمة عنده !! (تعالى الله عما يقول الظالمون علو كبيرا)

وكانوا اقرب الناس إلى تعاليم المسيح الحقيقية وغاية فى الزهد والتقوى وكان عندهم انجيل متى العبراني الاصلي المفقود الآن.

ومن الجائز أن يوسف ونيقوديموس (اذا صح أنه حضر معه) كانا يخافان على الجثة من اليهود أن يهينوها أو يمثلوا بها أو يتركوها للحيوانات المفترسة كالمعتاد أو نحو ذلك زيادة في النكاية بالمسيح و بأتباعه وكما كان يعمل في المصلوبين بحسب عادة الرومان ، فتظاهرا بأنهما قد أتمّا دفن الجثة ومضيا . فلما تحققا أنه لم يبق عند القبر أحد مطلقا خوفا من أن يطلع على ما يفعلان رجعا ونقلاها الى موضع آخر لا يعلمه أحد ، وتعاهدا على أن لا يبوح أحد بسرهما ثم ذهب يوسف الى بلدته (الرامة) على بعد ٦ أميال الى الشمال من أورشليم ورجع نيقوديموس الى بيته وكلاهما كان عضوًا في (السنهدريم) - مجمع اليهود - وكانا يؤمنان بالمسيح ولكن سرا لخوفهما من اليهود (يو ١٩ : ٣٨ و٧ : ٥٠) ولعلهما لم يجاهرا اليهود بشيء حتى ولا بأنهما هما اللذان دفنا الجثة وخصوصا نيقوديموس ، ولذلك لم تذكره الاناجيل الثلاثة الاول ، وربما قال يوسف

لليهود تعمية لهم «اني بعد ان استلمت الجثة وكفنتها سلمتها لغيري ممن حضر ليدفنها وتركته ولا أعلم باليقين أين وضعها ولا أعرف اسمه » وخصوصا لان كل الجموع الذين كانوا حاضري الصلب كانوا قد رجعوا الى منازلهم كما قال لوقا (٢٣ : ٤٨) ولم يبق وقت الدفن احد يشاهدهما إلا مريم المجدلية ومريم أم يوسي (مر ١٥ : ٤٧ ومت ٢٧ : ٦١) ولا ندري اذا صح ذلك كيف أرادتا العودة الى القبر لتحنيط الجثة مع أنهما شاهدتا يوسف ونيقوديموس يحنطانها كما تقول الاناجيل؟ (يو ١٩ : ٣٩ و ٤٠) وقال « كيم » أحد علماء الافرنج في كتابه « يسوع الناصري » مجلد ٣ ص ٥٢٢ « انه لا يحرم على أحد من اليهود في يوم السبت أن يقوم بالواجب نحو جثة الميت كالتحنيط والتكفين ونحوهما » فلا يفهم أحد ما الذي أخر هؤلاء النسوة عن الذهاب إلى القبر يوم السبت والقيام بما يردن عمله للمسيح فيه « أنظر كتاب دين الخوارق ص ٨٢٦ » أولم يكفهن الحنوط العظيم الذي احضره نيقوديموس (يو ١٩ : ٣٩) حتى اشترين غيره (مر ١٦ : ١) ولكن لنتغاض !!

وبعد السبت في فجر يوم الاحد جاءت مريم المجدلية ومريم الاخرى الى القبر الذي كانتا شاهدتا الجثة وضعت فيه اولاً (متى ٢٨:١) فلم تجداها فكان ما كان من اشاعة قيامة المصلوب من الموت . هذا اذا لم نقل انهما ضلتا عن القبر بسبب شدة الحزن والبكاء والتعب والظلام ، وكثيرًا ما تضل نساء مصر مثلا ورجالها عن معرفة قبورهم حتى بعد التردد عليها مرة او مرتين كما هو مشاهد معروف ولذلك لم يعرف علماؤهم موضع هذا القبر باليقين الى اليوم

ولما انتشرت اشاعة القيامة كانت قاصرة على التلاميذ وأتباع المسيح فقط في أورشليم (لو ٢٤:٣٣) ولم يقدروا على التجاهر بها امام اليهود في أول الامر ولذلك كانوا يجتمعون والابواب مغلقة لئلا يسمع كلامهم اليهود خوفا منهم كما قال يوحنا (٢٠ : ١٩) وكانوا على هذه الحالة الى ثمانية أيام (يو٢٠ :٢٦) ثم لم يجسروا على المجاهرة بالدعوة الى دينهم الا بعد نحو خمسين يوما كما في سفر الاعمال (٢:١) وفي هذه

المدة على فرض عثور احد على الجثة لا يمكن تمييزها عن غيرها بسبب التعفن الرمّي. ودعوى إيمان ثلاثة آلاف نفس من اليهود في يوم الخمسين يكذبها عدم وجود بيت للتلاميذ يسع كل هذا العدد فانهم كانوا نحو ١٢٠ رجلا (أع ١ : ١٥) واليهود الذين تنصروا نحو ثلاثة آلاف (اع ٢ : ٤١) ولا ندري عدد الذين لم يتنصروا من اليهود الذين حضروا الاجتماع في اورشليم من كل أمة تحت قبة السماء كما قال سفر الاعمال (٢ : ٦ - ١٣) الذي قال ايضا ان هذا الاجتماع العظيم كان في بيت (٢ : ٢) فأين هـذا البيت وملاك من التلاميذ وكلهم من الجليل (اع ٢ : ٧) ؟؟ !! ومن الذي اخبر كل هذه الجماهير من جميع الامم المتنوعة بما هو حاصل في بيت التلاميذ الخاص من نزول روح القدس عليهم وتكلمهم بألسنة مختلفة حتى هرعوا اليه صنفا صنفا ؟ ولماذا لم يكتب التلاميذ الاناجيل والرسائل بلغات العالم هذه التي عرفوها ليتيسر للناس قبولها بدون ترجمة ؟ وتكون معجزة باقية الى الابد ؟ ولماذا كان بطرس محتاجا لمترجمة مرقس إذًا ؟ كما رواه پاپياس وصدقه جميع آباء الكنيسة

القدماء ! ! ولكن لنرجع الى ما كنا فيه

وذهب جماعة من علماء النقد في أوربة وكثير ماهم الى أن القبر الذي وضع فيه المصلوب وكان منحوتا في الصخر أصابه ما أصاب غيره من الزلزلة التي حدثت في ذلك الوقت وذكرها متى في انجيله (٢٨ : ٢) فتفتحت بعض القبور وزالت بعض الصخور وتشققت (راجع أيضا مت ٢٧ : ٥١ و٥٢) فضاع بسبب ذلك الجسد المدفون في شق من الشقوق، ثم انطبق أو انهال عليه شيء من التراب والحجارة حتى انسد الشق ولم يقف احد للجثة على اثر . وكان ذلك قبيل وصول المرأتين الى القبر فلما وصلتا الى هنالك ولم تجدا الجثة ورأتا آثار الزلزلة او شعرتا بشيء منها ففزعتا وظنتا ان ذلك بسبب نزول الملائكة وقيام المسيح من القبر (مت ٢٨ : ٢)، وقد اخذت الرعدة والحيرة منهما كل مأخذ حتى لم تقدرا على الكلام (مر ١٦ : ٨) ولا يستغرب القارئ ماذكر فمي وقت الزلازل كثيرًا ما تنفتح الارض وتبتلع بعض اشياء ثم تنطبق عليها.

ووقوع هذه الزلزلة قبيل وصول المرأتين إلى القبر من

المصادفات التي حدث في التاريخ أعجب منها فقد كسفت الشمس يوم مات إبراهيم ابن رسول الله حتى ظنت الصحابة أن ذلك معجزة للنبي (ص) فقال عليه السلام لهم (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت احد ولا لحياته) الحديث ، يعني ان نظام هذا الكون العظيم لا يتغير لموت اي احد في هذه الارض الصغيرة الحقيرة . فيالله ما اصدقه من رسول!! ولو كان كغيره من الكذابين لفرح بما قال اصحابه وثبت اعتقادهم فيه .

ومن اعجب المصادفات التاريخية ان قمبيز ملك الفرس طعن العجل (ابيس) في فخذه فقتله استهزاء بالمصريين و إلههم وبينما هو سائر في طريقه سقط سيفه على فخذه ايضا فجرحه جرحا بليغا ساقه في الحال إلى الموت فظن المصريون ان ذلك بسبب فعل آلهتهم به ـ فما اعجب عقل الانسان وما اغرب كثرة ميله إلى الاوهام والخرافات !!

و إذا تذكرنا ان ذلك القبر كان منحوتا في الجبل في مكان خارج اورشليم بقرب الموضع المسمى (باجمجمة) وكان

مدخل مثل هذا القبر (او الكهف) من الجهة السفلى كما كانت
عادة الناس في ذلك الوقت في نحت القبور على ماذكره (رينان)
وغيره . فمن الجائز ان الزلزلة ازالت الحجر الذي سد به هذا
القبر فدخلت بعض الحيوانات المفترسة كالسبع او الضبع ونحوهما
واخذت الجثة وفرت بها . وهو تعليل آخر معقول

وقال بعض علماء الافرنج إن من عادة اليهود ان لا يضعوا
هذا الحجر على باب القبر إلا بعد مضي ثلاثة ايام من الدفن
فاذا صح ذلك فلا داعي للقول بهذه الزلزلة هنا في هذا الوجه

والخلاصة ان ضياع الجثة لادليل فيه على هذه القيامة
وخصوصا لان المسيح لم يظهر لاحد من المنكرين له مع انه
كان وعدهم بذلك بحسب انجيل متى (١٢ : ٣٩ و ٤٠)
وفضلا عن ذلك فليس بين تلاميذه واتباعه من رآه في وقت
عودة الحياة إليه وقيامه من القبر فان ذلك كان أولى باقناع
الناس واقناع تلاميذه الذين بقي بعضهم شاكا حتى بعد ظهوره
لهم (مت ٢٨ : ١٧ ولو ٢٤ : ٣٨ - ٤١ ويو ٢٠ : ٢٧)
مع أن اتباع هذه الطريقة كان أقرب وأسهل في الاقناع

وابعد عن مثل الشبهات التي ذكرناها

فان قيل إن ذلك يكون ملجئا للايمان وهو ينافي الحكمة الالهية — قلت وهل احياء المسيح للموتى أمام الناس ما كان ملجئا ولا منافيا للحكمة الالهية؟ وكذلك قيام أجساد القديسين الراقدين ودخولهم المدينة المقدسة على ما ذكره متى (٢٧ : ٥٢ و٥٣) ؟؟ فأي فرق بين هذه الآيات البينات والمعجزات القاطعة ، وبين قيامته هو من الموت ؟ فكيف يجب على البشر الايمان بها وهي قابلة للشك والطعن ؟ حتى من أتباعه الذين ملأوا الدنيا بكتبهم المشككة في هذا الدين وعقائده !! وحتى شك فيها التلاميذ أنفسهم (متى ٢٨: ١٧) من قديم الزمان !!

ولنا أن نسأل هنا الاسئلة الآتية :—

(١) اذا كان المسيح أخبر تلاميذه بأنه بعد قيامته انه سيسبقهم الى الجليل وأمرهم بالذهاب إلى هناك لكي يروه (مت ٢٦ : ٣٢ و٢٨ : ١٠ ومر ١٦ : ٧) فلماذا إذاً ظهر لهم في أورشليم كما يقول لوقا ويوحنا في نفس اليوم الذي قام فيه ؟ (لو ٢٤ : ٣٦ و٣٧ ويو ٢٠ : ١٩)

(٢) ما الحكمة في إرسالهم إلى الجليل ليروه هناك مع أنه ظهر لهم مرارا في أورشليم (أع ١ : ٣) وما الداعي إلى ذلك ؟ وهو الذي أمرهم ان لا يبرحوا أورشليم حتى يحل عليهم روح القدس (لو ٢٤ : ٤٩ وأع ١ : ٤)

(٣) هل ظهوره لهم في الجليل كان بعد ظهوره لهم في أورشليم أم قبله؟ فان كان بعده فلماذا شكوا فيه (مت ٢٨ : ١٧) بعد أن كان اقنعهم بذلك في اورشليم (لو ٢٤ : ٣٩ـ ٤٩ ويو ٢٠: ٢٠ و٢٧) وان كان قبله فمتى ذهبوا إلى الجليل إذاً؟ مع العلم بأن الجليل يبعد عن أورشليم مسيرة ثلاثة أيام على الاقل، وقد نصت الاناجيل على أنهم رأوه في اورشليم في نفس يوم قيامته من القبر، فهل يعقل انهم ذهبوا إلى الجليل ورأوه هناك ثم رجعوا في نفس ذلك اليوم ؟ وان كان السبب في الشك أن هيئته كانت تتغير بعد القيامة مرارا فلماذا كان ذلك وما الحكمة في هذا التضليل ؟ واذا كانت هيئته قابلة للتغيير والتبديل بعد القيامة وقبلها كما يفهم من الاناجيل (راجع متى ١٧ : ١ ـ ٧ ومر ٩ : ٢ ـ ٨ ولو ٩ : ٢٨ ـ ٣٦) وكان له القدرة على الاختفاء

عن أعين الناس والمرور في وسطهم بدون أن يروه والافلات من أيديهم (يو ٨ : ٥٩ و ١٠ : ٣٩ واو ٤ : ٣٠) فكيف إذاً يجزمون بأن اليهود صلبوه وأنهم عرفوه حقيقة وأمسكوه مع أن نفس تلاميذه كانوا يشكون فيه لكثرة تغير هيئته وتبدلها ؟ (يو ٢١ : ٤) وهم أعرف الناس به وأقربهم اليه وأكثرهم اختلاطا به (لو ٢٤ : ١٦ ومر ١٦ : ١٢ ويو ٢٠ : ١٤) فأي غرابة إذا قلنا ان اليهود لم يعرفوه وأخطأوه كما أخطأته مرة مريم المجدلية وظنته البستاني (يو ٢٠ : ١٥)

(٤) إذا كان المسيح ظهر لهم في اورشليم يوم قيامته فلماذا لم يأمرهم بنفسه وقتئذ بالذهاب الى الجليل بدلا من أن يرسل اليهم هذا الامر بواسطة النساء ؟ (متى ٢٨ : ١٠ ومر ١٦ : ٧) ولماذا لم يذكر متى هذا الظهور ويذكر ما ينافيه مما سبق بيانه ؟ ألا يدل ذلك على أنه ما ظهر لهم في أورشليم ؟ والا لما احتاج لتوسيط النساء بينه و بين تلاميذه ، ولم ترك متى ذكر ذلك وهو من الاهمية والبعد عن الشك كما يقول الآخرون بمكان عظيم ؟ (لو ٢٤ : ٤٥ ويو ٢٠ : ٢٥)

بقي علينا ان نناقش في قصة الصلب هذه من وجوه أخرى :ـ

(١) ان الشريعة الموسوية في مثل حالة المسيح كانت توجب الرجم وليس فيها صلب لاحد وهو حي وانما يعلق المقتول على خشبة (تثنية ٢١:٢٢) . اما الشريعة الرومانية فكان الصلب فيها للعبيد وقطاع الطريق ونحوهم من ارباب الجرائم الدنيئة . فكيف اذا صلب المسيح وعلى اي شريعة كان ذلك ؟ وكيف طلب اليهود صلبه وانفذه الرومان لهم وهو ليس موجودا في شرائعهم لمثله ؟ وكيف صلب معه « لصان » كما يسميهما متى ومرقس وليس في شريعة الرومان ولا شريعة اليهود صلب اللصوص ؟ ! لذلك شك بعض علماء الافرنج حتى في اصل هذه القصة . ومنهم ايضا من اظهر بالدلائل التاريخية المعقولة الكذب او المبالغة في بعض قصص اضطهاد النصارى واستشهادهم الكثير في القرون الاولى كما يحكون في تواريخهم

(٢) جاء في انجيل لوقا أن المسيح قبيل القبض عليه قال لتلاميذه ٢٢ : ٣٦ (الآن من له كيس فليأخذه ومزود

كذلك . ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفا ٣٨ فقالوا يارب هوذا هنا سيفان . فقال لهم يكفي ٣٩ وخرج ومضي كالعادة الى جبل الزيتون وتبعه أيضا تلاميذه ٤٠ ولما صار الى المكان قال لهم صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة ٤١ وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى ٤٢ قائلا يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس. ولكن لتكن لا ارادتي بل إرادتك ٤٣ وظهر له ملاك من السماء يقويه ٤٤ واذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الارض- الى قوله -٤٩ فلما رأى الذين حوله ما يكون قالوا يارب أنضرب بالسيف ٥٠ وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى) وعلى هذه العبارة ترد عدة مسائل:-

(أولا) إن المسيح أمر تلاميذه بشراء السيوف وحملها للدفاع عنه وأراد واحد منهم أن يقتل عبد رئيس الكهنة ولكن أصابت الضربة أذنه فقطعتها ولم ينهه المسيح عن ذلك الا بعد أن أخطأت الضربة الرجل كما يفهم من متي (٢٦ : ٥١ و٥٢) فكيف يتفق هذا مع قول الاناجيل عنه انه أمر تلاميذه بمحبة

الاعداء (مت ٥: ٤٤) وأنه قال (مت ٥: ٣٩) «من لطمك على خدك الايمن فحول له الآخر أيضا » فلماذا لم يعمل هونفسه بأقواله هذه وأراد تلاميذه على حمل السيوف للدفاع عنه ؟ أم كانت هذه الاقوال السلمية في مبدأ امره كما يفهم من انجيل متى قبل ان يقوى فلما قوي قليلا تركها ؟ فماذا كان يفعل لو بلغ من القوة مبلغا يستطيع معه ان يقهر دولة الرومان ؟ وبم يفتخر المسيحيون علينا إذاً ونحن نرى ان المسيح مادعا الى السلم الا وقت ضعفه الشديد ؟ ولمَ يعيبون محمدًا صلى الله عليه وسلم لانه حارب اعداءه وقد كان حينئذ قويا شديدًا ؟ أو لا يفهم من عبارة لوقا هذه ان المسيح هو الذي اشار عليهم بالضرب بالسيف حينئذ ؟ فانه هو الذي امرهم بشرائها وحملها معهم ، نعم انه لم يصرح بذلك حينما سألوه « انضرب بالسيف ؟ » ولكن كان سكوته ايعازا خفيا خوفا من اليهود ومن الدولة الرومانية لان الظاهر انه كان عنده أمل في النجاة منهم ولذلك لما تم صلبه على زعمهم يئس وقال « إلهي إلهي لماذا تركتني ؟ » (مت ٢٧ : ٤٦)

« ثانيا » اذا كان المسيح ابن الله الذي نزل من السماء للموت ليرفع خطيئة العالم فلماذا اراد الدفاع عن نفسه ولماذا لم يسلم نفسه لهم طائعا مختارا ؟ وما معنى هذه الصلاة الطويلة العريضة والالحاح بطلب النجاة ؟ وما حكمة ذلك يا ترى وهو يعلم انه لا فائدة من هذا كله ولا بد من صلبه الذي جاء لأجله !!

« ثالثا » اذا كان عبيد الله يقدمون انفسهم للشهادة في سبيله بكل شجاعة وثبات واقدام فكيف يمكن ان يجبن ابن الله عن مساواتهم في ذلك حتى يتصبب عرقه من شدة الخوف من الموت . وليس في الموت الا انه يعود ثانية الى ابيه فلم كره ذلك يا ترى ؟ ولم هذا الحزن الشديد ؟ كما ذكر متى (٢٦ : ٣٧ و٣٨)

« رابعا » كيف يحتاج ابن الله الممتلئ من روح القدس الى ملاك من السماء ليقويه مع ان في ناسوته أقنومين الهيين (الابن وروح القدس يو ١ : ٣٢) وهما متحدان به فهل هذا الملك عندهم أقوى من الله ؟

« خامسا » هل من العدل عند النصارى ان ينقذ الله

المذنبين (آدم وبنيه) ويصلب ابنه البريء رغم ارادته وهو يستغيث به فلا يغيثه فأين عدله ورحمته ؟ واذا لم يكن عادلا رحيما بابنه فهل مثل هذا الاله يرحم عبيده ويعدل فيهم ؟ ولم هذا الحب الكثير من إلههم لسفك دم الابرياء من قديم الزمان ؟ راجع قصة يفتاح الممتلئ من روح الله الذي قبل ابنته الوحيدة البريئة قربانا لله وذكر الله قصته هذه في بعض كتبه ولم يزجر أباها ولم يعاقبه على ما فعل كأن قتلها كان مرضيا عنده تعالى (قضاة ١١ : ٢٩ ـ ٤٠) لان أباها أصعدها بعد قتلها محرقة له فلعله سر من رائحتها والنيران تأكل جثتها ! ! فلذلك ذكر هذه القصة ولم يذكر ماينفر منها ليقتدي الناس بيفتاح هذا !! (راجع أيضا مقالة القرابين والضحايا في كتابنا « دين الله »)

واذا كان الانسان غير ميال للشر بفطرته قبل عصيان آدم كما يزعمون فكيف إذا وقع آدم في هذا الاثم لولا أن فطرته كانت من قبل فاسدة ؟ وهل خلص البشر بعد الصلب من فساد الفطرة والتعب والضيق والموت في هذا العالم وغير ذلك مما ترتب على ذنب آدم ؟ ؟

(٣) يقول انجيل يوحنا ١٩: ٣١ (ثم اذ كان استعداد فلكي لا تبقى الاجساد على الصليب في السبت لان يوم ذلك السبت كان عظيما ، سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سيقانهم ويرفعوا ٣٢ فأتى العسكر وكسروا ساقي الاول والآخر المصلوب معه ٣٣ وأما يسوع فلما جاءوا اليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات ٣٤ لكن واحدًا من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء ٣٦ لان هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يكسر منه ٣٧ وأيضا يقول كتاب آخر سينظرون الى الذي طعنوه) فاذا كانت هذه القصة حقيقية ووقعت لتتميم نبوات قديمة فكيف لم يشر اليها الثلاثة الانجيليون الآخرون ؟ وليس هذا فقط بل ان عبارة مرقس (١٥: ٤٢ ـ ٤٦) تنافي هذه القصة لان يوحنا (١٩ : ٣٨) يقول ان يوسف أتى إلى بيلاطس بعد ان أمر بكسر سيقان المصلوبين وبعد ان ماتوا فأذن له بأخذ الجثة، فكيف اذا تعجب بيلاطس (حسب رواية مرقس) من موت المسيح بسرعة حينما جاءه يوسف طالبا الجسد ؟ ولماذا سأل قائد المائة قائلا (هل له زمان

قد مات ؟) (مر ١٥ : ٤٤) اذا كان حقيقة أصدر أمره بكسر سيقان المصلوبين ورفعهم كما قال يوحنا ؟ فهل بعد هذا الكسر يبقى موضع للعجب ؟ ولا يخفى ان المسيح صلب بين اللصين (يو ١٩ : ١٨) فكيف تخطاه العسكر وكسروا ساقي الاول والآخر ولم يكسروا ساقيه بل كسروا الثالث قبله ؟ فان قيل لانهم رأوه قد مات . قلت إذا كانوا متحققين من الموت فلماذا طعنه أحدهم بالحربة في جنبه ؟ وان لم يكونوا متحققين فما الذي أخرهم عن كسر ساقيه بعد صدور الامر لهم بذلك ؟ ولماذا ترددوا في إطاعة الامر حتى تخطوه الى الثالث ؟ وهل من شأن العسكر التردد والتوقف والبحث في مثل ذلك ؟ مع ان الامر صدر لهم صريحا بكسر سيقان الجميع والتعجيل بموتهم ورفعهم عن الصلبان اجابة لطلب اليهود من بيلاطس ، فما الذي أخرهم عن تنفيذ الامر في الحال ؟ ألا يدل ذلك على أن هذه القصة مصطنعة لتطبيق نبوات قديمة على المسيح كما هي عادة كتبة الاناجيل ؟ (راجع كتاب دين الله ص ٣٣ ـ ٣٦ و ١٠٢)

وكيف يفسرون خروج الدم منه بعد الموت من الوجهة الطبية وما هذا الماء الذي رآه يوحنا خارجا من جنبه ؟ ! كما يقول انجيله (١٩ : ٣٤ و٣٥)

(٤) ذهب بعض علماء الافرنج الى أن المصلوب لم يمت لان مدة الصلب كانت ست ساعات على الا كثر (راجع مرقس ١٥ : ٢٥ – ٣٧) وهي غير كافية للموت بالصلب فان المصلوب يموت عادة من يوم الى ثلاثة أيام ولذلك تعجب بيلاطس من هذه السرعة (مر ١٥ : ٤٤) وقال بسبب ذلك أوريجانوس وغيره من آباء الكنيسة القدماء أن موته كان من خوارق العادات وايضا فانه لم تسمر الا يديه فقط وربطت رجلاه ولذلك لم يذكر يوحنا الا أثر المسامير في يديه ولم يذكر رجليه (يو ٢٠ : ٢٠ و٢٥ و٢٧) ولم يُرهما المسيح لتلاميذه بحسب هذا الانجيل. وأما عبارة لوقا (٢٤ : ٣٩و٤٠) فانها تحتمل أن المراد بها أنه أراهم يديه ورجليه ليجسوهما ليعلموا أنه جسم حقيقي له لحم وعظم – كما قال – ليقنعهم أنه ليس روحا وانما أراهم يديه ورجليه دون سائر جسمه لانه يسهل كشفهما

دون باقي الاعضاء الاخرى . على ان هذه القصة قد ردها علماء النقد المحققون (راجع كتاب دين الخوارق في الانكليزية صفحة ٨٣٧ و ٨٣٨)

هذا ولم يكن ربط رجلي المصلوب عند الرومانيين وغيرهم بأقل من تسميرهما ان لم نقل انه كان الغالب في الصلب . وفوق ذلك فان عظامه لم تكسر كما قال يوحنا (١٩ : ٣٦) وأما طعنه بالحربة فلم تذكرها الاناجيل الاخرى وقصتها مشكوك فيها كما بينا . واذا صحت فيجوز ان الحربة لم تنفذ الى داخل الجسم وتكون فقط قد قطعت الجلد والشحم وبعض العضلات على ان الفعل اليوناني المترجم في الانجيل بطعن (يو ١٩ : ٣٤) لا يفيد ان الجرح كان غائرا كما يقول علماء هذه اللغة . ثم ان هذه الحادثة تدل على الحياة اكثر من دلالتها على الموت فانه لو كان المصلوب ميتا لما سال منه دم فسيلان الدم منه هو احد الدلائل على انه كان حيا فبعد ان سال منه جزء من الدم بطل النزف كالمعتاد . والظاهر ان هذه

القصة اخترعت قديما لاثبات الموت لجهلهم بعلم الطب اذ ذاك.
فلهذه الاسباب كلها قال العلماء ان المصلوب لم يمت حقيقة وانما أغمي عليه اغماء شديدا كما حصل لبولس بعد ان رجم (أع ١٤: ١٩ و٢٠) فلما أنزل عن الصليب ودُفِّن بالكفن والكتان (مت ٢٧: ٥٩) واستراح في القبر وانتعشت روحه بالاطياب الكثيرة التي وضعها له نيقوديموس (يو ١٩: ٤٠) أمكنه ان يقوم ويخرج من القبر والذي أزال الحجر عن هذا القبر هي الزلزلة التي ذكرت سابقا او ان مسألة الحجر هذه مخترعة لان العادة كانت ان لا يوضع هذا الحجر الا بعد مضي ثلاثة ايام (راجع كتاب دين الخوارق ص ٨٣٢) فلما قام المصلوب ومشى قليلا سقط ميتا بسبب ما تحمله من العذاب وانهاك قواه والجوع العطش مدة طويلة وآلام الجروح والتهابها أو تعفنها وربما ساعد على ذلك وجود بعض امراض في احشائه لم تعلم أو انه أصابه ذهول فألقى بنفسه من مكان عال أو زلت قدمه فهوى إلى غير ذلك من الاسباب المحتملة المتنوعة التي تسبب الوفاة في مثل هذه الحالة ولم يعلم المكان الذي مات فيه فان القبر كان خارج

مدينة أورشليم في بعض جبالها . و بسبب عدم وجود الجثة في القبر نشأت هذه القصص المختلفة عن القيامة

هذا شيء مما يقال في هذه المسألة وهو قليل من كثير مما يقوله علماء اوربا الآن في الدين المسيحي حتى انه ليخيل للانسان انه لا يمضي زمن طويل حتى تخرج اوربا كلها عن النصرانية وليس ذلك بعجيب عند من يعلم ان اكبر العلماء والمفكرين هناك قد خرجوا الآن فعلا عن هذا الدين ونبذوه وراءهم ظهريا والفوا المجلدات الضخمة في اثبات بطلانه وفساد عقائده كلها - كما يقولون - ولا أدري لماذا يفتخر المبشرون بأوروبا وعلمها بين المسلمين مع أنه قل أن يوجد بين الافرنج عالم مستقل الفهم والعقل يعتقد بشيء من عقائد النصرانية ، فالاولى بجماعة المبشرين بدل نشر دينهم خارج أوربا ان يحصنوه في داخلها ضد غارات هؤلاء العلماء المحققين والا لخرجت أوربا كلها عن المسيحية يوما ما وحينئذ لا يجديهم افتخارهم بها و بعلمها ومدنيتها نفعا

هذا واذا وجد في بعض كتابات مؤرخي الوثنيين

الاقدمين ان المسيح صلب كما في تاريخ تاسيتوس (Tacitus) المؤلف نحو سنة ١١٧ ميلادية فلا يعتد بقوله لوجوه : --

(١) أن يكون تاسيتوس أخذ ذلك من الاشاعات الحاصلة في ذلك الوقت وجمهورها يؤيد ذلك كما قلنا ، ولو لاحظنا احتقار تاسيتوس للنصارى في ذلك الوقت لما استغربنا منه هذا القول الذي صدر منه بدون تحقيق ولا تمحيص لعدم عنايته بهم فهو كأقوال نصارى أوربا في القرون الوسطى في محمد (ص) ودينه فقد كانت كلها مبنية على الاشاعات الكاذبة والاختلاقات

ومما يدلك على صحة قولنا في تاسيتوس هذا وغيره من مؤرخي الوثنيين: إنهم كانوا يأخذون بالاشاعات والاكاذيب المنتشرة حولهم ويحشرونها في تواريخهم بدون تحر ولا بحث، أنه دَوّن في تاريخ اليهود خرافات عديدة مضحكة ظنها حقائق ثابتة كما قالت دائرة المعارف الانكليزية (مجلد ١٣ صفحة ٦٥٨) والحق يقال ان الرومانيين لم يهتموا بالمسيح أدنى اهتمام لانه لم يفه ببنت شفة يفهم منها أنه يريد الخروج

عليهم وكانت كل أعماله قاصرة على اصلاح حال أمته دينيا وأدبيا ولم يتبعه الا بعض فقراء اليهود وأصاغرهم فلذلك لم يلتفت اليه أحد من غير اليهود فحادثة الصلب كانت من المسائل المحلية الداخلية لهم لم يهتم بها أحد من حكام الرومان خارج أورشليم ولذلك صدر امر بيلاطس فيها بدون استئذان رومية كما يفهم من جميع الاناجيل (١) والراجح عند العلماء

(١) جاء في كتاب « حكايات من العهد الجديد » لمؤلفه (جولد) الانكليزي ص ١٢٦ (أن رؤساء مدينة أورشليم لو كانوا اهتموا بأمر المسيح اذ ذاك لارسلوه الى رومية أو لانفذوا فيه العقوبة وحده) اه فاذا كانوا عاملوه معاملة اللصوص وصلبوه بينهم فهل أبلغ بيلاطس أمر اللصين الى رومية أيضاً ؟ إن كان ذلك فأين ما يؤيده من تواريخ الرومان القديمة التي ذكرت حادثة الصلب لتعيير النصارى وتحقيرهم كما يقولون؟ فأي تحقير أبلغ من ذكر صلب الههم بين اللصوص اذا كانوا سمعوا به ؟ وان لم يكن بيلاطس بلغ خبر اللصين الى رومية فلماذا اذاً أبلغ خبر المسيح اليها مع أنه باجماع المؤرخين لم ينظر اليه بأكثر مما ينظر به الى حاد اليهود وضعفائهم اذ لم يأت المسيح بأقل شيء يمس الرومان ودولتهم مطلقاً !!

فان قيل اذا كانت معجزات المسيح التي ذكرها القرآن حقيقية فلماذا لم يذكرها مؤرخو اليهود والرومان فيما ثبت أنهم كتبوه من التاريخ ؟ قلت لان جل هذه المعجزات وأعظمها كان يعملها عليه السلام بعيداً عن أورشليم في بعض القرى الصغيرة أو الخلوات بين تلاميذه وبعض عامة اليهود وما كان يجيب أحداً منهم عن طلبه حينما يقترحون عليه عمل المعجزات =

ان بيلاطس لم يبلغها رسميا للامبراطور (طيباريوس) في رومية (راجع كتاب «شهود تاريخ يسوع» ص٢٣) لانها كانت من المسائل الصغيرة القاصرة على اليهود وكانوا غير خاضعين لشرائع الرومان في مسائلهم الدينية. فغاية الامر ان عيسى وهو أحدهم حكم عليه مجمع السنهدريم اليهودي بالموت. وهو لم يكن رومانيا حتى تهتم به الرومان وفقط كان لا بد لهذا المجمع ان يحصل على تصديق الحاكم الروماني في بلادهم لكي يقدر على تنفيذ ما حكم به رسميا، نعم كان الرومان على الحياد

= (راجع مثلا يو ٢ : ١٨ – ٢٠ و٦ : ٣٠ – ٤٠ ومر ٨ : ١١ و١٢ ولو ٢٢ : ٦٤ وغير ذلك) فلم ير الرؤساء من اليهود والرومان آياته وانما كانوا يسمعون عنها من عامتهم حتى أن أكبر معجزاته وهي احياء لعازر بعد دفنه بأربعة أيام لم يروها بأنفسهم وانما سمعوا عنها ممن آمن به لأجلها من عامة اليهود (يو ١١ : ٤٥ – ٤٧) وكذلك هيرودس كان يسمع عن آياته وما رأى شيئاً منها بنفسه حتى لم يجبه المسيح عما طلب منه (لو ٢٣ : ٨ و ٩) وما راء كمن سمع ولو كان مؤمناً فما بالك اذا كان السامع كافراً به فيذهب في تأويل ما سمع مذاهب شتى ولا يصدق وهؤلاء المؤرخون كانوا من خواص اليهود والرومان ولم يروا شيئاً بانفسهم فما كانوا يصدقون مايسمعون، ولا ينتظر منهم أن يدونوا في تواريخهم مالا يعتقدون

أما معجزة خلق (أي تقدير وترتيب) قطعة من الطين كهيئة الطير وصيرورتها طيرا باذن الله والكلام في المهد فوقعتا في صغره وفي مدينة =

بالنسبة لمسائل اليهود الدينيـة الداخلية الا أنه كان لا بد من تصديقهم على مثل هذه العقوبات التي يريد اليهود تنفيذها في شؤونهم الدينية . شأن الامم الغالبة مع الامم المغلوبة كما هو مشاهد في هذا العصر . (راجع كتاب رينان في حياة المسيح ص ١٣٤) فلم يكن ثم باعث لاهتمام الرومانيين بهذه المسألة حتى لو بلغ الحكومة خبرها رسميا بعد وقوعها ولذلك كان مؤرخوهم يجهلون تاريخ المسيح ولم يذكره الا قليل منهم عرضا في كتبهم والغالب ان اهل رومية لم يسمعوا به الا بعد ان دخلت النصرانية ايطاليا وكانوا يحتقرون النصارى احتقارا شديدا ولا يهتمون

= الناصرة وهي قرية في الجليل صغيرة حقيرة عند اليهود ولم يكن فيها أحد من كبار الرجال أو مشاهير الكتاب فلذلك لم يروهما أحد غير بعض أتباعه الجليليين فذكرتا في انجيل توما وانجيل الطفولية وغيرهما من الاناجيل غير القانونية عند النصارى الان ونسيها الاخرون منهم لبعد زمنها ولو قوعها قبل ان يشتهر أمر عيسى بين الناس

وأما قصة تفتح القبور وقيام كثير من أجساد الراقدين ودخولهم مدينة أورشليم وظهورهم للناس كما قال متى (٢٧ : ٥١ — ٥٤) فانما أنكرناها لانهم ادعوا أنها وقعت في أعظم مدن اليهود حيث يوجد كبار الرجال منهم ومن الرومان ومع ذلك لم يروها أحد غير متى ولم يروها انجيل آخر مما كتبه نفس أتباع المسيح مع القول بأنها وقعت بعد أن ذاع صيته وكان له أتباع كثيرون

بهم ولا يعرفون الفرق بينهم و بين اليهود ولا شيئا من اخبارهم الصحيحة ولذلك يقول تاسيتوس إن لليهود والنصارى إلها رأسه رأس حمار ، ويقول سويتونيوس المؤرخ الروماني « Suetonius » في أوائل القرن الثاني « ان اليهود (يريد النصارى) طردهم كلوديوس من رومة لانهم كانوا يحدثون شغبا وقلاقل فيها يحرضهم عليها دائما « السامي او الحسن » (Chrestus) يريد « المسيح » » اه وكان يظن ايضا ان المسيح عليه السلام كان مقيما في رومية في ذلك الزمن (١) فاذا كان هؤلاء المؤرخون الى أوائل القرن الثاني لم يعلموا إن كان المسيح وجد في رومية أو لم يوجد ولا حقيقة عقيدة اهل الكتاب في « الله » فكيف يعول النصارى على شهادتهم ؟

فقيمة هذه التواريخ الوثنية عن مؤسس النصرانية عليه السلام هي كقيمة كتابات بعض مؤلفي الافرنج في القرون الوسطى الذين كانوا يكتبون عن المسلمين انهم يعبدون « ماهوم » أو غير ذلك من الاسماء وأن له صنما عندهم من ذهب في مكة او في

---

(١) لاحظ الوجه الثاني الآتي

أورشليم. ومنهم من زعم انه رأى هذا الصنم بعينيه الخ. انشروه من خرافاتهم وهذياناتهم فكذلك كانت كتابة الوثنيين عن المسيح والمسيحيين . فهي لا قيمة لها ولا يجوز ان يعتبر شيء منها تاريخا صحيحا فانها كلها مبنية على الاشاعات والاختلاقات والاوهام والاكاذيب بدون ان يكلفوا انفسهم اقل عناء في معرفة الحقيقة . ولم يكن للنصارى اذ ذاك شأن عندهم حتى يلتفتوا للبحث في تاريخهم ولذلك جهلوا حتى اسمهم واسم رئيسهم « يسوع » (١) عليه السلام فاذا قالوا انه صلب او عبده جميع النصارى من دون الله او غير ذلك فهي اقوال لا يهتم بها احد من المسلمين فانها صادرة عن قوم لا يفهمون من امر النصارى شيئا وربما قاسوا بعض معتقداتهم على معتقدات أنفسهم ونظروا اليها بهذا المنظار وفهموها خطأ فظنوا أنها إما خرافات وخزعبلات قالوا في كتبهم عنها أو انها تحوير

---

(١) حاشية : اذا سلم أن بيلاطس أرسل عن صلب المسيح تقريرا الى رومية اطلع عليه تاسيتوس كما يدعون فلا يعقل أن بيلاطس لا يذكر في هذا التقرير اسمه (يسوع) فكيف اذاً جهل تاسيتوس وغيره هذا الاسم كانه ماسمع به ألم يره في هذا التقرير المزعوم !!

لعبادتهم للآلهة الرومانية قام به المتنصرون منهم أي انهم أَلهوا رئيسهم وعبدوه بدل تلك الآلهة الرومانية (١) . وما كانوا ليفهموا من النصرانية أكثر من هذا أو نحوه كما كان يظن الاوروبيون أن المسلمين يعبدون محمدا عليه السلام وجهلوا اسمه كما جهل الرومان اسم (يسوع) وجعلوا لنا ثلاثة آلهة أو (ثالوثا) قياسا على ثالوثهم (٢)

والخلاصة أن أمثال هذه التواريخ المبنية على مثل هذه الاوهام والجهل لاتفيد النصارى شيئاً وهي لاقيمة لها بالمرة فلا يصح الاحتجاج بها على المسلمين . هذا اذا كانت خالية من التحريف فكيف وما خلت منه كما في الوجه الآتي

(٢) إن هذه العبارة المذكورة في تاريخ تاسيتوس قال فيها

---

(١) لما دخل الرومان وغيرهم في المسيحية جعلوا يوم الاحد (وهو يوم عبادة الشمس أعظم آلهتهم) العيد الاسبوعي لهم بدل (سبت) التوراة وجعلوا يوم ٢٥ ديسمبر (وهو يوم ميلاد الشمس أيضا) يوم الميلاد للمسيح عليه السلام فجملوا بذلك وبغيره وثنيتهم الى النصرانية (راجع تاريخ جولد مجلد ١ ص ٥٤)

(٢) راجع كتاب الاسلام تعريب فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية بمصر

كبار العلماء من المحققين في أوربا إنها إما أن تكون مدسوسة عليه أو محرفة بالزيادة . (راجع كتاب « شهود تاريخ يسوع ص ٢٠ـ ٥٦ » وكتاب « ملخص تاريخ الدين » لمؤلفه جولد (Gould) ص ٢٢ مجلد ٣) وقد بين هؤلاء العلماء دلائلهم على صحة دعواهم هذه ولكن يطول بنا إيرادها في مثل هذه المقالة . والحق أن المؤلفات التي وصلتنا من طريق النصارى لا يوثق بها لكثرة تعودهم على تحريف جميع ما نقلوه من الكتب التي وصلت الى أيديهم سواء كانت دينية أو تاريخية أو غير ذلك كما يعترف بذلك علماء النقد منهم الآن فكم من عبارة أظهروا تحريفها أو دسها . وكم من كتب أظهروا وضعها واختلاقها ونسبتها إلى غير كاتبيها حتى لم يسلم من عملهم هذا الكتب التي توجد عند غيرهم من الامم كتاريخ يوسيفوس الموجود عند اليهود أيضا وقد بينا ذلك في كتاب دين الله (صفحة ٧٩ و٨٠ منه) فمنذ القرن الرابع حينما صارت دولة الرومان اليهم تصرفوا في كتبهم وفيما وصلهم من كتب غيرهم بما شاءوا وشاءت أهواءهم ولم يخشوا حسيبا ولا رقيبا

وقد بين العلامة اندريس (Andresen) أن أصل عبارة تاسيتوس هذه في أقدم النسخ المخطوطة باليد مغاير الموجود في النسخ المتأخرة في كلمة (Chrestianos) التي حرفوها الى (Christianos) والفرق بين الكلمتين عظيم فان الاول بمعنى (الطيبين) والثانية بمعنى « المسيحيين » وكانت الكلمة الاولى (Chrestianos) تطلق على عبّاد الآله المصري (Chrestus) المسمى أيضا أوزيريس (Osiris) وكان عبّاده في رومية إذ ذاك كثيرين من عامة الرومان ومن مهاجري المصريين وهم الذين كان يمقتهم الرومانيون الآخرون واضطهدوهم كثيرا لأسباب دينية وسياسية ولشدة كرههم لأولئك المصريين واحتقارهم لهم لم يمكنهم أن يميزوا بينهم وبين اليهود المصريين المهاجرين اليهم من الاسكندرية وغيرها واعتبروهم كلهم سواء في الجنس والدين فلما احترقت رومية نسبوا الحريق اليهم فحل بهم ما حل من اضطهاد نيرون قيصر الرومان (Nero) كما فصله تاسيتوس في تاريخه فالظاهر أن بعض النصارى ظن أن تاسيتوس يريد بقوله (Chrestianos) المسيحيين

أي (Christianos) فأضاف إلى تاريخه هذه العبارة للتفسير « ان هذا الاسم (أي (Chrestianos) منسوب الى اسم المسيح (Christ) الذي صلب بأمر الوالي بيلاطس في عهد الامبراطور طيباريوس (Tiberius) » مع أنه نسبة الى (Chrestus) إله المصريين ولما لاحظ النصارى هذا الخطأ حرفوا اللفظ الوارد في كتابة تاسيتوس من (Chrestianos) الى (Christianos) لتصح النسبة الى المسيح (Christ) ولذلك أختلفت النسخ الحديثة عن النسخ القديمة في هذا اللفظ كما حققه اندريس على ماسبق وعليه فتاسيتوس لم يذكر المسيح في كتابه مطلقا . و (Chrestus) المذكور هنا هو اسم آخر لأوزيريس كما تقدم وكان يطلق أيضا على رئيس كهنة هذا المعبود كعادة الوثنيين بل وعلى بعض موالي الرومانيين وهذا يفهمنا المعنى الحقيقي لقول سوتيونيوس (Suetonius) السابق « إن اليهود « المصريين » طردهم كلوديوس (Claudius) من رومية بسبب ما يحدثونه من الفتن بتحريض الحسن أو السامي (Chrestus)» وهو على هذا أحد رؤساء الكهنة أو شخص آخر سمي بهذا الاسم . وهو تفسير

معقول ولولاه لكان سويتونيوس لا يعرف الفرق بين اليهود والنصارى ويزعم أن المسيح وجد في رومية وهو خطأ يبعد جداً أن يقع فيه مؤرخ مثله . فالحق أنه لم يذكر عيسى عليه السلام كما لم يذكره تاسيتوس على ما بينا ولولا تحريف النصارى لكتبهما لفظا ومعنى لما فهم منها غير ما قررناه ولما توهم أحد وقوع سويتونيوس في هذا الخطأ الفظيع والجهل الفاضح الذي ينسبونه اليه . ولما انتشرت المسيحية في رومة بقي الرومان مدة لا يفرقون بين كلمة (Chrestians) و (Christians) وكلمة (Chrestus) و (Christus) وظنوا أن المسيح هو معبود المصريين (Osiris) القديم . فحصل بسبب ذلك هذا الخلط والخبط حتى توهم أيضا يوستينوس (Justin) الشهيد النصراني الشهير المتوفى في القرن الثاني أن هناك علاقة بين اسم المسيحيين (Christians) وكلمة (Chreston) أي حسن أو طيب كما في كتاب جواد المذكور (ص ١٩ من المجلد ٣)

(٣) اذا سلم أن تاسيتوس أخذ خبر الصلب من مصدر رسمي في رومية كما يدعون فنحن لا نقول ان بيلاطس ورؤساء

اليهود كانوا يعرفون الحقيقة بل نقول انهم كانوا مخدوعين بل ربما كان العسكر الذين قبضوا على يهوذا بعد فرار المسيح أيضا مخدوعين إذ يجوز انهم أخذوه الى السجن لا لمجرد تخليص أنفسهم من العقاب باتهامهم أي شخص كان بل لاعتقادهم أنه هو عيسى وساعدهم على هذا الظن شدة شبه يهوذا به وجهلهم بطرق تحقيق الشخصية « وهو العلم الذي توسع فيه الآن » وكذا عدم شدة مقاومة يهوذا لهم لتصميمه على قتل نفسه من قبل القبض عليه كما بينا ، فلما قال لهم مرة أو مرتين حينما قبضوا عليه انه ليس هو عيسى ظنوا أنه كاذب وانه يريد الفرار منهم مرة أخرى فلم يلتفتوا الى قوله

ومما ساعد على جهل الناس حقيقة المصلوب حتى انخدعوا أن هيرودس غير ملابس المسيح وألبسه لباسا أبيض لامعا استهزاء به (لو ٢٣ : ١٠) ورده الى بيلاطس فوضع بيلاطس أيضا اكليلاً من شوك فوق رأسه وألبسه ثوب أرجوان وخرج به هكذا وحاكمه أمام اليهود (يو ١٩ : ٢ — ١٦) ولما حكم عليه بالصلب أخذه العسكر الى داخل دار الولاية وألبسوه رداء

قرمزيا و وضعوا اكليلاً من شوك على رأسه (مت ٢٧ : ٢٨ و ٢٩) وكل هذه المظاهر المختلفة تغير هيئته امام من رآه خصوصا من لم يعرفوه معرفة جيدة وتساعد على الوقوع في الخطأ . وفي وقت الصلب جردوا المصلوب من ثيابه كلها و بقي عريانا ولا يخفى أن من لم يتعود رؤية شخص وهو عريان لا يسهل عليه معرفته بعد تجريده من ملابسه « أنظر مر ١٥ : ٢٤ — ٢٧ ومتى ٢٧ : ٣٥ و ٣٦ »

وكيف يعجبون من قولنا ان النساء اللاتي كن واقفات بعيداً عنه وقت الصلب لم تعرف الحقيقة ولا اللذين دفناه وهما ما كانا يعرفانه حق المعرفة كما بينا — كيف يعجبون من ذلك ولا يعجبون من أن مريم المجدلية التي كانت تعرفه حق المعرفة ومختلطة به أتم الاختلاط لم تعرفه وقت القيامة مع انها كانت واقفة بالقرب منه وكان يكلمها « يو ٢٠ : ١٥ » وكذلك بعض التلاميذ الآخرين ما عرفوه مع انه كان يمشي معهم ويحادثهم ويأكل معهم « لو ٢٤ : ١٣ — ٣٤ » وكان الشك فيه ملازما لهم كلما رأوه « مت ٢٨ : ١٧ ولو ٢٤ : ٣٧ — ٤٢

ويو ٢٠ :٢٧ » ولماذا تغير شكله وما هو السبب في ذلك ؟ ولماذا لم يبق على صورته الاصلية حتى يقنع تلاميذه بدل الشك فيه مرارًا !! اما يكفي انه لم يره احد غير تلاميذه فهل بعد ذلك يشككهم مرارًا في نفسه بسبب تغير هيئته «مر ١٦: ١٢» ثم يحاول اقناعهم بصعوبة زائدة حتى بقي بعضهم شاكا في الجليل بعد ان رأوه في أورشليم. أنظر متى « ٢٨ : ١٧ »

ولا تنس أن القبض على المسيح ومحاكمته أمام مجمع اليهود ورؤسائهم كانا ليلاً ولا يخفى على أحد مبلغ طرق الاضاءة في تلك البلاد وتلك الازمنة وكان ذلك أكبر وقت قضاه المسيح أمام اولئك الرؤساء . أما محاكمته في النهار فكان وقتها قليلا جدا وكان يختلي به بيلاطس فيها مرات (أنظر يوحنا ١٨ : ٣٣ — ١٩ : ١٦) فضاع بذلك اكثر هذا الوقت القصير أيضا وكان المسيح — كلما خرج أمام اليهود في وقت هذه المحاكمة — لابسا ملابس السخرية والاستهزاء (يو ١٩ : ٥) كما بينا وهي طبعا غير ملابسه العادية ولا بد

أنها تغير شكله . وعليه فكل هذه الظروف تساعد على وقوع الخطأ والاشتباه

ومما يؤيد قولنا بهروب المسيح من السجن ويقرب ذلك من عقول النصارى ماجاء في انجيل يوحنا وهو يدل على قدرته على الاختفاء والافلات من أيدي الناس بطرق عجيبة جدا خارقة للعادة قال ٨ : ٥٩ (فرفعوا حجارة ليرجموه أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازا في وسطهم ومضى هكذا) أي بدون أن يروه وقال ١٠ : ٣٩ (فطلبوا أن يمسكوه فخرج من أيديهم) فلم لايجوز أن يكون خرج من أيدي الحراس كما كان يخرج من أيدي اليهود على ماقال الانجيل ولم يره أحد ؟ (راجع أيضا لوقا ٤ : ٢٩ و٣٠)

ومن الجائز أنهم لما لم يجدوه وخرج من أيديهم واختفى بهذه الكيفية التي ذكرتها الاناجيل وتحققوا من عدم وجوده بالمدينة خاف الحراس من العقاب وارتبكوا وخاف اليهود أن يؤمن به كثيرمن الناس فأخذوا عمدا واحدا غيره من المسجونين يشبهه أو لا يشبهه باتفاقهم مع العسكر وربما رشوهم بمال كثير

حتى لا يبوحوا لاحد بالسر مطلقا (أنظر مت ٢٨ : ١٢) وصلبوا هـذا الرجل خارج المدينة وأفهموا الناس أنهم صلبوا المسيح وكان المسيح في ذلك الوقت قد ذهب الى الجليل أو غيره هربا منهم وخوفا (أنظر يو ٧) ومن هناك رفع الى السماء فلم يعثر عليه أحد كما رفع أخنوخ (تك ٥ : ٢٤) وايليا (٢ مل ٢ : ١١ و١٧) وقد منع اليهود الناس من الاقتراب من المصلوب لئلا يعرفوا الحقيقة . وأيضا كان من رأيهم أن هلاك واحد عن الشعب خير من هلاك الامة كلها على حسب زعمهم (يو ١١ : ٥٠) فلا يبعد أن واحدا من رؤساء الكهنة قدم نفسه لذلك العمل كما يفعل بعض الناس للآن في زمن الحروب وغيرها. ويحتمل أيضا ان هذا الذي أخذوه كان أحد المحكوم عليهم بالاعدام كباراباس (لو ٢٣ : ١٩) الذي قال علماؤهم انه كان يسمى (يسوع) أيضا في أقدم تراجم المسيح فحذف النصارى هذا الاسم منها (راجع دائرة المعارف الانكليزية مجلد ١٣ صفحة ٦٥٦) . ونظراً الان هذا الرجل كان محكوما عليه بالاعدام على ما يظهر وكان اسمه يسوع فلما صلبوه ظن

أنه صلب لاجل ما حدث منه من القتل والفتنة وكلما نادوه باسمه لم يخطر على باله أنهم أقاموه مقام يسوع المسيح الذي ظنه الناس أنه هو المصلوب وبذلك تحقق قول المسيح لليهود (يو ٧ : ٣٣ أنا معكم زمانا يسيرا بعد ثم أمضي الى الذي أرسلني ٣٤ ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا) واستجاب الله دعاءه برفع كأس الموت عنه (مر ١٤ : ٣٥ — ٤٢) والا فكيف يعقل ان الله يرد دعاء مثله ؟ راجع ايضا يوحنا ١٦ : ٣٢ و٣٣

وعلى هذا الوجه يكون الذين كتبوا الاناجيل اناسا لم يعرفوا حقيقة المسألة فكتبوها كما شاع في ذلك الوقت واشتهر عند اكثر الناس

وبعد الصلب جاء يوسف ونيقوديموس وهما يهوديان من اعضاء مجلس السنهدريم واخذا الجثة بأمر رؤساء الكهنة واخفياها عن اعين اتباع المسيح خوفا من ان يعرفوا الحقيقة فتظاهرا بأنهما من اتباع المسيح في السر (يو ١٩ : ٣٨ و٣٩) ليمنعاهم من دفنه بأنفسهم واخذا الجثة ووضعاها اولا في قبر

ولما ذهب كل من كان واقفا من الناس نقلاها الى موضع آخر لم يعلمه احد

ولما شاعت إشاعة القيامة واعتقدها بعض الناس كانت اولا قاصرة على التلاميذ كما سبق ولم يجاهروا بها امام اليهود خوفا منهم (يو ٢٠ : ١٩ و ٢٦) وبعد نحو خمسين يوما كما في سفر الاعمال (٢ : ١ و ١٤) بدءُوا يخبرون اليهود باعتقادهم هذا . ولكن في ذلك الوقت كانت جثة المصلوب قد تغيرت جميع معالمها بسبب التعفن الرمي ولا يمكن لليهود ان يحضروها بعد اخفائهم لها واذا احضروها فلا يقتنع بها احد ولا يمكن ان يعرفها فكان من العبث ان يحاول احد اقناعهم بذلك (١) . ولذلك سكت رؤساء اليهود عن مثل هذه الحجة التي تظهرهم

---

(١) حاشية : هذا اذا سلمنا صحة ماجاء في سفر الاعمال . ولكن الاظهر عندنا أن النصارى لم تجاهر بدعوى القيامة أمام المخالفين لهم ولم يدعوهم اليها علانية الا في القرن الثاني للمسيح ولذلك لم يرد في تاريخ من التواريخ القديمة لليهود أو الرومان أو غيرهم أن النصارى كانت تقول بتلك العقيدة أو تدعو الناس اليها جهرا في تلك الازمنة الاولى فكيف لم تذكر التواريخ ذلك ولو على سبيل الاستهزاء والسخرية وقد كان عدد المسيحيين اذ ذاك في العالم مما يستحق الذكر كما يقولون ؟ !

بمظهر العاجز المتحير وظنوا ان احسن طريقة لاسكات النصارى هي استعمال القسوة والاضطهاد لا مثل هذه المناقشة التي لا طائل تحتها . وربما اشاع بعض عامة اليهود في ذلك الوقت فكرة سرقة تلاميذ المسيح الجثة من القبر لانهم لم يعرفوا الحقيقة . ولا يبعد ان بيلاطس نفسه دخلت عليه الغفلة من رؤساء الكهنة والعسكر ولم يعرف هو ايضا الحقيقة فانه كان يحب المسيح كثيرا هو وامرأته (متى ٢٧ : ١٩ و ٢٤) فكان هؤلاء الرؤساء يخافون ان يؤمن به وخصوصا اذا تحقق ان المسيح افلت من ايديهم واجتاز في وسطهم بدون ان يروه كما يقول الأنجيل بعد ان كان بيلاطس يسعى في خلاصه منهم بنفسه فلم يقدر (مت ٢٧ : ١٧ — ٢٥)

ولنا أن نسترسل في هذا الوجه ونقول كما قال متى ان المسيح بعد ذلك عاد الى بعض تلاميذه لما ذهبوا الى الجليل وأخبرهم بحقيقة المسألة فبعضهم صدق كلامه وأنه هو وبقي البعض الآخر شاكا (مت ٢٨ : ١٧) متمسكا بما ذهب اليه أولا من حصول الصلب له والقيامة من القبر . أما الذين

صدقوا فمن شدة حيرتهم ودهشتهم لم يفهموا منه جميع تفاصيل القصة كما لم يفهموا كلامه فى أثناء حياته عن موته وقيامته على ماسبق بيانه مع أنهم لم يكونوا إذ ذاك في حالة من الحيرة والدهشة كهذه ولذلك فاتهم بعض أشياء من هذه القصة فاختلفوا في تصويرها للناس ومن ذلك نشأت فرق النصارى القديمة التي أنكرت الصلب وقالت ان المصلوب واحد آخر غير المسيح لم يتفقوا على تعيينه وقال بعضهم انه سمعان القيرواني الذي تقول الاناجيل انه حمل الصليب (مت ٢٧ : ٣٢) وذلك مثل طائفـة الباسيليديين « Basilidians » كما ذكره جورج سيل الانكليزي في ترجمتـه للقرآن الشريف في سورة آل عمران صفحة ٣٨

فان قيل ولماذا لم يظهر المسيح نفسه لليهود حينئذ و يكذبهم في قولهم بصلبه ؟ قلت لعله خاف منهم (يو ٧ : ١ و ١٠ و ١١ : ٥٤ و ١٢ : ٣٦) على أن هذا السؤال وارد على النصارى بالاولى بأن يقال لماذا لم يظهر نفسه للمنكرين له بعد قيامته كما وعد حتى يؤمنوا به وحتى لا يشك فيه نفس تلاميذه ؟ فما يقولونه في الجواب

عن ذلك هو عين جوابنا نحن أيضا

هذا واذا لم يثبت أن المسيح عاد للتلاميذ وأخبرهم بالحقيقة فلا غرابة في ذلك لانه كان قد لمح لهم بها من قبل حادثة الصلب فقال لهم (يو ١٦ : ٣٢ هو ذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد الى خاصته وتتركوني وحدي وأنا لست وحدي لان الآب معي ٣٣ قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيّ سلام . في العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم) وقال أيضا (يو ١٣ : ٣٣ ستطلبونني وكما قلت لليهود (ص ٧ : ٣٤) حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا أقول لكم انتم الآن) ولكن الناس قد نسوا ذلك أو شكوا فيه او لم يفهموه كما لم يفهموا كثيرًا من كلامه الآخر (يو ٢١ : ٢٢ و٢٣ و٢ : ١٩ ـ ٢٢ ولو ١٨ : ٣٤) الخ وكيف يتفق قوله (ان الاب معي) مع قول المصلوب (مت ٢٧ : ٤٦ إلهي الهي لماذا تركتني ؟) فالحق ان الله ما تركه بل رفعه اليه ونجاه من ايدي اليهود (راجع ايضا كتابنا دين الله

ص ١٠٠ - ١٠٣) وربما انه بعد فراره منهم ذهب الى الهند
كما كان يهرب من أورشليم مرارًا خوفا من اليهود (أنظر
مثلا يو ١٠ : ٣٩-٤٢ و١١ : ٥٣ -٥٧)وقد بين ذلك الاستاذ
صاحب المنار في تفسيره واستدل على ذلك بروايات الهنود
وبوجود قبر لشخص جاءهم منذ التاريخ المسيحي واسمه
(يوزاسف) وهو يقرب من اسم المسيح (يسوع) تعريب
(ييزس) « Iesous » اليوناني ومنه ييسس الانكليزي
« Jesus » الخ ويقال هناك ان اسمه الاصلي (عيسى صاحب)
ولعل توما تلميذه رافقه في هذه الرحلة الهندية فان النصارى
تقول انه مات في جزائر الهند الشرقية كما في قاموس بوست

وعليه يكون المسيح مات هناك أيضا بعد ان عاش
مدة قليلة في راحة وهناء ودفن ولم يرفع بجسمه الى السماء
حيا كما يقول كثير من المسلمين والنصارى الآن ويكون
المراد بالرفع في القرآن الرفع المعنوي أو الروحاني . وربما
انه هناك لم يؤمن به أحد أو آمن به قليلون انقرضوا أو
اندمجوا في باقي اهل الهند وتلاشت عقائدهم في عقائد

أولئك (١). ومما يؤيد القول بعدم ايمان أحد به انه لم يرسل إلا إلى بني اسرائيل ولم يدع احدا الى دينه سواهم (مت ١٠: ٥ و٦ و١٥: ٢٤) والى هذه الهجرة الهندية قد اشار القرآن الشريف كما قال الاستاذ السيد صاحب المنار بقوله (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين) فأمه هاجرت معه ولذلك لم يقف النصارى على شيء يعتد به من تاريخها بعد حادثة الصلب باليقين

ومما يزيدك وقوفا على اضطراب الاناجيل وخطأها في هذه المسألة وغيرها اكثر مما تقدم ان انجيل يوحنا (وهو متأخر عنها فلذا نمت فيها العقائد اكثر) يقول ان يحيى بن زكريا كان يعتقد ان عيسى هو حمل الله الذي يرفع الخطية عن العالم (يو ١: ٢٩ - ٣٥) مع ان الاناجيل الاخرى قالت انه وهو في السجن في آخر حياته لما سمع من تلاميذه عن اعمال المسيح ارسل اليه اثنين منهم يسألانه (هل هو المسيح المنتظر

---

(١) نص كتاب صدق المسيحية The Truth of Christianity في ص ٥٦٠ على أن المسيحية انتشرت قديما في بلاد الهند . فلعل ذلك مما يساعد على القول بهذه الهجرة الهندية

أم ينتظر غيره؟) (راجع لوقا ٧: ١٨-٢٣ ومتى ١١ : ٢-٦)
ولا ادري كيف يتفق هذا مع اختراعات انجيل يوحنا فانظر
وتعجب ! ! ومن خطأ الاناجيل قول متى (٢٣ :٢٣) ان
الكتبة والفريسيين كانوا يدفعون العشر عن النعنع والشبث
والكمون مع أن مثل هذه الاشياء ما كان يدفع عنها شيء (راجع
كتاب شهود تاريخ يسوع ص ٢٣٨) وقال هذا الانجيل أيضا
عن المسيح إنه قال إن اليهود قتلوا زكريا بن برخيا بين الهيكل
والمذبح (مت ٢٣ : ٣٥) مع أن الذي قتلوه هو زكريا بن
يهو ياداع كما في سفر أخبار الايام الثاني (٢٤ : ٢٠ و٢١)
وأما ابن برخيا (أو باروخ) فهذا قتل بعد المسيح حينما حاصر
الرومانيون أورشليم كما ذكره يوسيفوس في كتابه (تاريخ
حرب اليهود) وهذا مما يدل على خبط الاناجيل وخلطها في
حوادث تاريخ المسيح فكيف يطمئن الانسان الى روايتها أو
يثق بشيء منها مع امتلائها بالغلط والتناقض الذي بيناه مرارا .
وسنكتب ان شاء الله قريبا شيئا عن تاريخ هذه الاناجيل
وعن بولس مؤسس المسيحية الحالية الحقيقي

فان قيل : الا ترى ان وقوع الصلب بهذه الكيفية التي شرحتها يشكك الناس في صدق عيسى أنه هو المسيح المنتظر فانهم كانوا يتوهمون انه يرد الملك الى اسرائيل (أع ١ : ٦) ؟ قلت : اذا كان اعتقاد صلبه لم يشككهم جميعا في ألوهيته فكيف إذاً يشككهم في صحة مسيحيته ؟ وأي ضرر إذا شككهم في أوهامهم التي كانوا بالغوا فيها بشأن مسيحهم الذي كانوا ينتظرونه ؟ وهل نسيت أن باب التأويل عند الناس في مثل هذه المسائل واسع فانهم يرجعون الى أوهامهم فيحورونها والى نبواتهم فيأولونها ؟ واذلك تراهم أولوا صلبه بأن ذلك انما فعله بارادته رغبة منه في خلاص البشر مع أن المسيح كان يلح في طلب النجاة من الله (متى ٢٦ : ٣٨ ـ ٤٤ ولو ٢٢ : ٤١ـ ٤٥) وقالت أناجيلهم انه قال (إلهي إلهي لماذا تركتني) وهو يدل على اليأس والقنوط من استجابة دعائه (راجع أيضا مزمور ٢٢ خصوصا عدد ١٤ و ١٥ منه) . وأولوا فقدان جثة المصلوب بأنه قام من الموت !! وأولوا ملك المسيح الذي كانوا ينتظرونه بأنه سيأتي قريبا (رؤ ٢٢ : ٧ و ١٠ و ١٢ و ٢٠ ومت ١٦ : ٢٧

و٢٨ و١٠ : ٢٣ ورؤيا ٣ : ١١ ويع ٥ : ٨ و١ بط ٤ : ٧ و١يو٢ :١٨ و١ تسا٤ :١٥-١٧ و١ كو١٠ :١١ و١٥ :٥١ و٥٢ الخ) ويرد الملك لهم ويحكم في الارض الف سنة كما في سفر الرؤيا (٢٠ : ٤ و٧) وأن يوحنا لا يموت حتى يجيء المسيح (يو ٢١ : ٢٢) فلما مات يوحنا ومضت القرون ولم يجيء رجعوا الى عبارته في يوحنا فوجدوها لا تفيد ما توهموه وأولوا جميع عباراته المزعومة وعبارات غيره الدالة على قرب مجيئه (حتى ما في متى ٢٤ :٣ و٢٩-٤١) وقالوا ان ملكوته روحاني لا دنيوي الخ الخ.

وقد بين علماء الافرنج في كثير من كتبهم أن اليهود لكثرة اختلاطهم بالامم الوثنية وتسلطها عليهم ورؤية اليهود ما لهم من عز ومجد ومدنيـة ولطول زمن خضوعهم لهم يئس كثير من خواصهم من أن يكون مسيحهم المنتظر سلطانا دنيويا مخلصا لهم من تسلط هؤلاء الامم الاجنبية القوية وتأثروا بما عندهم فاقتبسوا بعض أفكارهم الوثنية في آلهتهم التي قالوا انها نزلت بارادتها الى الارض لخلاص البشر بالخضوع للموت والصلب وطبقوا هم أيضا هذه الافكار على مسيحهم فقالوا انه سيكون شخصا

إلهيا أو ابنالله تعالى وسيرسله لتخليص الناس بالموت والصلب طائعا مختارا (!!) كما قال الوثنيون في آلهتهم فان ميل اليهود للوثنية متأصل فيهم من قديم الزمان ولذلك كثيرا ما عبدوا آلهة الامم وكفروا امرارا بهم وكانت نساء أورشليم يبكين على « تموز » إله البابليين الذي قتل لاجل خلاص البشر ثم قام من الموت أيضا (حز ٨ : ١٤) . وهذا هو سبب ورود بعض ما يشبه هذه الافكار الوثنية في بعض كتب العهد القديم كما في أشعياء (٥٣) وميخا (٥: ٢ ـ ٩) فلما جاء عيسى اخترع له مؤلفو العهد الجديد بعد زمنه من الحوادث والصفات والأقوال ما يجعلهم قادرين على تطبيق أوهام اليهود القديمة عليه (راجع مثلا ع ٨: ٢٦ـ٤٠) هذا اذا صح أن مافي تلك الكتب هو حقيقة اشارة الى المسيح وصلبه و قِدَمِه كما يزعمون على أن أكثر اليهود كان يرى فيها خلاف ذلك و يعتقد أن المسيح لا بد أن يكون ظافرًا منصورًا لا مغلوباً مقهورًا كما هو صريح أكثر النبوات الواردة في شأنه في العهد القديم (راجع مثلا ميخا أصحاح ٥ وزكريا ٩: ٩ ـ ١٧ وملاخي ٣: ١ ـ ٦ و ٤: ٥ وأشعيا ١١: ١ ـ ١٦ وايضا اصحاح ٤٢

منه إذا صح زعمهم انه في المسيح هو وما في حجى ٢: ٦- ٩)
ولذلك كانوا يعدون الصلب اكبر عثرة في سبيل ايمانهم به كما
قال بولس (١ كو ١: ٢٣) ولكن الآخرين منهم اعتقدوا فيه
كما اعتقد بولس وكان توهمهم صلبه مما يؤيد اعتقادهم انه هو المسيح
المنتظر لا مما يزعزعه فلذا كان وقوع حادثة الصلب بالكيفية التي
شرحناها اولا مما يؤيد قول فريق منهم بصحة مسيحية عيسى
ويناقض قول الآخرين ولو وقع عكس ذلك بأن نجا المسيح
ولم يشتبهوا في غيره لاعتقد كونه هو المسيح كثيرون وخالفهم
ايضا آخرون ممن يعتقدون وجوب تألم المسيح فلذا كان وقوع
حادثة الصلب وعدمها على حد سواء بالنسبة لهذه المسألة.
على ان من الاوجه التي سبقت ان رؤساء اليهود صلبوا عمدا
واحدا غيره حينما نجا منهم فلم يكونوا مخدوعين بل كانوا هم
الخادعين للناس. و بسبب غشهم هذا انقسم الناس في امر
المسيح الى طوائف عديدة يعرفها المطلعون على تاريخ الكنيسة
المسيحية فمنهم من جوز الصلب والعذاب على المسيح كبولس
واتباعه ووافقهم على ذلك تلمود اليهود أيضا في القرن الثاني، ومنهم

من لم يجوزه وهم جمهور اليهود الآخرين للآن ، ومنهم من اعتقد أن المصلوب هو عيسى وأنه انسان او إله او كاذب ، ومنهم من قال ان المصلوب شخص آخر ومنهم من يرى ان نبوات التألم والعذاب تمت أو ستتم في المسيح المنتظر ومنهم من يرى أنها ليست في حقه بالمرة بل في موضوعات أخرى ، ولله في خلقه شؤون

هذا وقد أفاد وقوع الصلب بهذه الصورة التي شرحناها فوائد : ـ (١) أن المسيح نجا من أذاهم (٢) وأن يهوذا (على الوجه الاول) وقع في الحفرة التي حفرها للمسيح عقابا له على خيانته (٣) عرف الناس خطأهم في اعتقاد أن المسيح لا يموت (يو ١٢ : ٣٤) وأنه يكون حاكما دنيويا يرد الملك لاسرائيل وان الله يجعله فوق نواميس الوجود كما كانوا يتوهمون (أفسس ١ : ٢٠ و٢١) (٤) عرف بعض طوائفهم قديما وحديثا أنه ليس الها والا لما صلب ـ على زعمهم ـ رغم انفه ولما دعا الله طلبا للنجاة ولما يئس المصلوب من رحمة الله ، ولولا ذلك لكان اعتقاد ألوهيته عاما بين أتباعه جميعا في كل زمان ومكان ولما

قال جمهورهم إن فيه جزءاً ناسوتيا حادثا (١) ولأجمعوا على اعتباره كله لاهوتا محضا لقرب عهد الامم بالوثنية وشدة ميلهم اليها في زمنه. راجع ما يقرب من ذلك المعنى في انجيل برنابا (٢٢٠: ١٤-٢١)

فان قيل ولماذا لم يرسل الله نبيا بعد موته مباشرة ليخبر الناس بحقيقة المسألة حتى لا يذهبوا الى ماذهبوا اليه في أمر خلاص البشر بصلبه؟ قلت :-

(١) إن هذه العقيدة وحدها بدون دعوى الالوهية له لا ضرر فيها كبيرا سوى أنها خطأ نظري عقلي . ولم يكن اعتقاد الصلب هو الحامل لهم على دعوى الالوهية له في مبدإ الأمر بل لم تحملهم حادثة الصلب نفسها وضياع الجثة على القول بأكثر من أنه قام من الموت كما يعتقد المسلمون قيام الذي مر على القرية (قران ٢: ٢٥٩) وكانت الدعوة الاولى الى المسيحية كما في كتبهم

(١) حاشية : اذا كان المصلوب هو عيسى باعتبار أنه انسان فما معنى قول النصاري بعد ذلك « ان الله لفرط محبته للبشر ضحى بنفسه عنهم لخلاصهم » ?? مع أنه باعترافهم ماضحى الا « بالانسان يسوع » الذي أكرهه على ذلك اكراها !! فأين اذاً محبته هذه الزائدة للبشر وأين محبته لابنه هذا وعدله معه وهو (كما قال بولس) لم يشفق عليه ولم يرحمه (رومية ٨: ٣٢) ?!

قاصرة على (أن عيسى هو انسان وأنه هو المسيح المنتظر وانه صلب ولكنه قام من الموت وجعله الله ربا وسيدا كما جعل موسى (خر ٧ : ١) رغما عن صلب اليهود للمسيح) راجع خطاب بطرس لليهود في سفر الاعمال (٢ : ٢٢ ـ ٣٦) ولما جاء بولس نبههم أو اخترع لهم (١) حكمة للصلب وهي تخليص البشر بعد أن

(١) حاشية ـ اذا صح أن هذه العقائد كانت عند بعض خواص اليهود من قبل عيسى بسنين عديدة أخذا عن الوثنيين كما يقول علماء الافرنج الا ن ـ كان بولس هو فقط أعظم من أرشد عامة اليهود اليها وتوسع فيها وأتقن تطبيقها على المسيح ودعا بعض الامم الاجنبية اليها ولكنه مع ذلك ما كان يعتقد في عيسى الالوهية الحقيقية الكاملة بل اعترف كثيرا في رسائله أنه فقط رب (أي سيد) وخلقه الله قبل جميع الخلائق (كو ١ : ١٥) وأخضع الله له كل شيء وبه خلق كل شيء (١ كو ٨ : ٦) فهو عنده ليس قديما كالاله تعالى بل منه استمد وجوده وقدرته (راجع أيضا أمثال ٨ : ٢٢ ـ ٣١) وهو أقل منه درجة وخاضعا له (١ كو ١٥ : ٢٧ و ٢٨ و ١١ : ٣) وأما مساواة عيسى بالله تعالى في كل شيء وخصوصا في الجوهر والمقام والأزلية فبولس لم يدر فيها كما هو صريح جميع رسائله (رو ١ : ٤) وانما هي مسالة سرت الى النصرانية بعد بولس من فلسفة الرواقيين في (الكلمة) وفلسفة يهود الاسكندرية فيها وخصوصا (فيلو) (Philo) الذي كان معاصرا للمسيح والظاهر أنها لم تصل الى كتب العهدين (راجع مثلا (رؤيا ٣ : ١٤) التي بقيت الى الآن خالية من كل نص صريح قاطع يدل على الالوهية الحقيقية للمسيح ومساواته للاب المساواة التامة في كل شيء بل جميع عباراتها تنافي هذه العقيدة الا مازادوه تحريفا منهم كما يعترفون بذلك الآن (مثل رؤ ١ : ٨ و ١١ و ١ يو ٥ : ٧ و ٨ وزيادة لفظ (الله) يه ٤ و ١ تي ٣ : ١٦ وأع ٢٠ : ٢٨) (راجع أيضا كتابنا « دين الله » فصل ٢ وصفحة ٧٦ و ٧٨)

فكرفي ذلك مدة طويلة منهـا ثلاث سنين تقريبا اعتزل فيها الناس في بلادالعرب وفي آخرها ذهب الى دمشق (غل ١ : ١٧ و١٨) ور بما وافقه بعض التلاميذعلى هذه الحكمة التي أرشدهم اليها والظاهر أنهم خالفوه في غيرها من أفكاره كقوله بعدم وجوب الختان وجواز أكل ما ذبح للاوثان (راجع غل ٥ :٢ و١ كو ٦ و ٨ ورومية ١٤ وكو ٢ : ١٦ ثم اقرأ رؤيا ٢ :٢ و٩ و١٤و٣ :٩) ولذلك ذمه يوحنا بعد موته في رؤياه هذه . وقدسمى بولس إنجيله (إنجيل الغرلة للامم غير اليهودية) (غل ٢ : ٧ ـ ١٠) وانجيل تلاميذ المسيح (بانجيل الختان) وكانت دعوتهم قاصرة على اليهود فقط كدعوة المسيح عليه السلام نفسه (راجع كتاب دين الخوارق Supernatural Religion فصل ٣ ـ ٧ من الجزء الرابع)

(٢) إن اختلاف البشر أمر طبيعي أراده الله ولا بد منه واو أرسل الله رسولا لبيان ذلك عقب المسيح مباشرة لآمن به بعض الناس وكفر به الآخرون ولما زال الخلاف من بينهم

(٣) لما كثر الفساد في عقائد الامم قاطبة وفي مذاهبهم

وعم جميع شؤونهم الدينية والدنيوية وكثر سفك الدماء وظلم الابرياء وخصوصا عند النصارى أرسل الله محمدا على فترة من الرسل فبين لهم الحق من الباطل

(٤) إن النصارى تقول ان روح القدس نزل على تلاميذ المسيح بعده وأرشدهم الى الحق في كل شيء ، فهل زال الخلاف من بين النصارى بسبب ذلك ؟ لا. اننا لانرى أمة من الامم اشتد اقتتالها واختلافها في كل جزئية من جزئيات الدين والدنيا أكثر من النصارى وخصوصا بعد نزول هذا الروح المزعوم . فلهذا كله اقتضت الحكمة الالهية تأخير البيان حتى اشتدت حاجة الامم كافة واستعدت نفوس البشر لقبول الاصلاح بعد أن عم الفساد الارض فجاء محمد على حين فترة من الرسل كما قال القرآن الشريف (٥ : ١٩) بالاصلاح الذي ينشدونه وبيان الحق الذي يتطلبونه فلذا دخل الناس في دينه أفواجا أفواجا وعم سلطانه الارض في وقت قصير لم يعهد له مثيل في تاريخ البشر (كما بينه الاستاذ الامام في رسالة علم التوحيد) والى الآن نرى الناس يقتربون من الاسلام شيئا فشيئا حتى أوشك

حكماء أوروبة وعلماؤها أن يدخلوا فيه من حيث لا يشعرون وسيكون ان شاء الله هو دين الانسانية العام في الارض كما تدل عليه بوادر الامور ولا يهولنك ضعف دوله الآن فان ذلك لا يعد شيئا في جانب ما نراه من اقتراب جميع العقلاء والمفكرين من عقائده اقترابا كليا وجزئيا حتى سادت العقائد الاسلامية على أذهان كبار الناس اليوم في كل مكان (راجع ما تنشره جماعة العقليين (Rationailsts) كالكتب التي تصدر من مطبعة .Watts Co شركة واطس بلندرة ومن هذه الكتب يتضح لك صدق قوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي نفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد)

﴿ استطراد لا بأس به ﴾

بمناسبة ذكر جبل الزيتون كثيرا في هذه المقالة نقول ما يأتي : —
سمي هذا الجبل بذلك لكثرة ما كان به من شجر الزيتون وهذا الجبل شهرة عظيمة في تاريخ المسيح يعرفها المطلعون على الاناجيل والأرجح أنه أول ما نزل عليه الوحي كان عليه السلام هناك (راجع مثلا لو ٤ : ١ و ٥ و ٩) لذلك أقسم الله تعالى به في قوله (والتين والزيتون وطور سينين، وهذا البلد الامين) أما التين فهو شجرة بوذا مؤسس الديانة البوذية التي تحرفت كثيرا عن أصلها الحقيقي لان تعاليم بوذا لم تكتب في زمنه وانما رويت كالاحاديث بالروايات الشفهية ثم كتبت بعد ذلك حينما ارتقى أتباعها. والراجح عندنا (بل المحقق اذا صح تفسيرنا لهذه الآية) أنه كان نبيا صادقا ويسمى (سكياموني) أو (جوتاما) وكان في أول أمره يأوي الى شجرة تين عظيمة وتحتها نزل عليه الوحي وأرسله الله رسولا فجاءه الشيطان ليجربه هناك فلم ينجح معه كما حدث للمسيح في أول نبوته (راجع لو ٤ : ١ — ١٣) ولهذه الشجرة شهرة كبيرة عند البوذيين وتسمى عندهم (التينة المقدسة) (وبلغتهم أجابالا) « Ajapala »

ففي هذه الآية ذكر الله تعالى أعظم أديان البشر الاربعة الموحاة منه تعالى لهدايتهم ونفعهم في دينهم ودنياهم فالقسم فيها كالتمهيد لقوله بعده (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) الى آخر السورة . ولا يزال أهل الاديان الاربعة هم أعظم أمم الارض وأكثرهم عدداً وأرقاهم . والترتيب في ذكرها في الآية هو باعتبار درجة صحتها بالنسبة لاصولها الاولى فبدأ تعالى بالقسم بالبوذية لانها أقل درجة في الصحة وأشد الاديان تحريفا عن أصلها كما يبدأ الانسان بالقسم بالشيء الصغير ثم يرتقي للتأكيد الى ما هو أعلى. ثم النصرانية وهي أقل من البوذية تحريفا ثم اليهودية وهي أصح من النصرانية ثم الاسلامية وهي أصحها جميعا (١) وأبعدها عن التحريف والتبديل بل ان

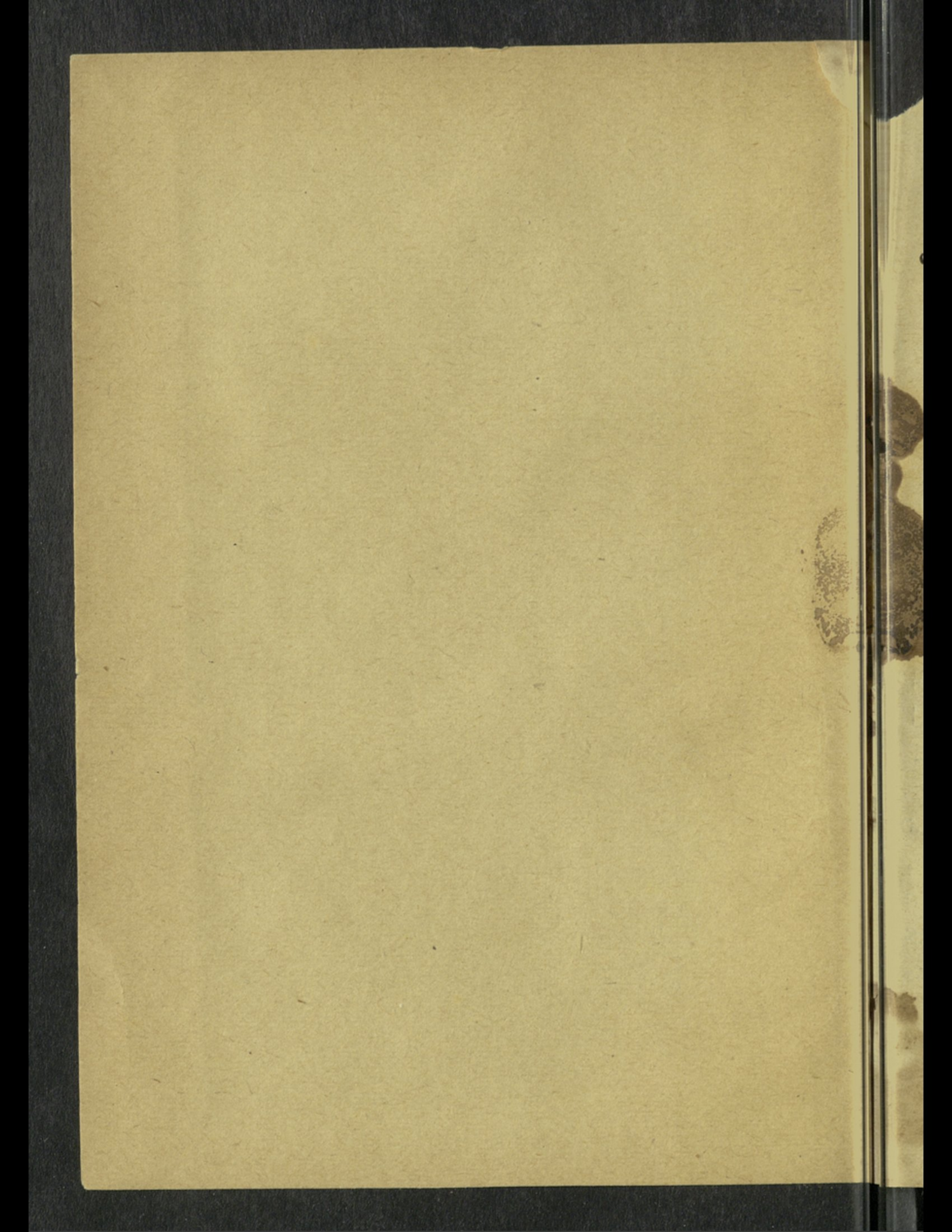
(١) قال العلامة أرثر دروز (Arthur Drews) في كتابه =

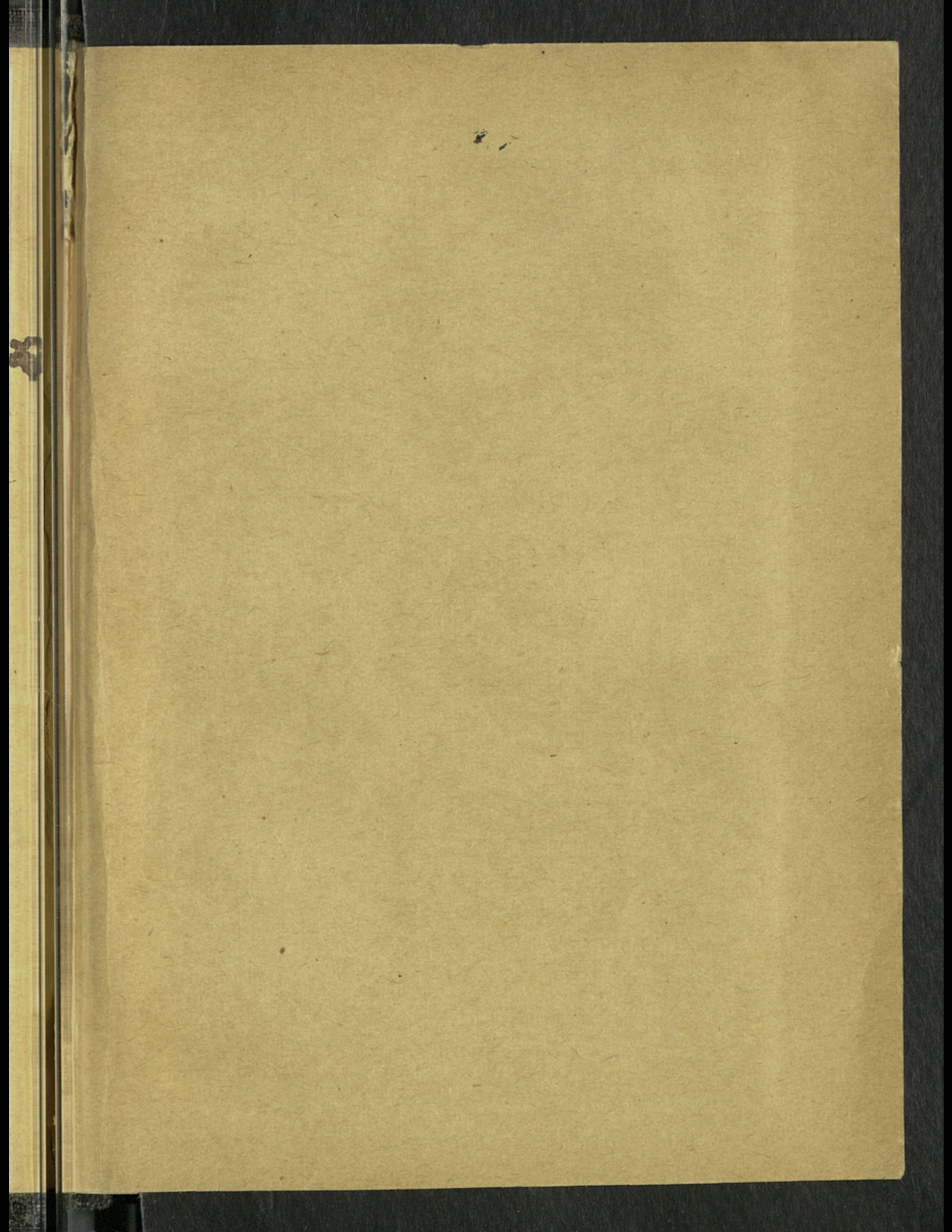
أصولها (الكتاب والسنة العملية المتواترة) لم يقع فيها تحريف مطلقا ،
ومن محاسن هذه الآية الشريفة غير ذلك ذكر ديني الفضل (البوذية
والمسيحية) أولا ثم ديني العدل (اليهودية والاسلامية) ثانيا للاشارة
الى الحكمة بتربية الفضل والمسامحة مع الناس أولا ثم تربية الشدة
والعدل وكذلك بدأ الاسلام باللين والعفو ثم بالشدة والعقاب . ولا يخفى
على الباحثين التشابه العظيم بين بوذا وعيسى ودينيهما وكذلك التشابه بين
موسى ومحمد ودينيهما فلذا جمع الاولان معا والآخران كذلك .
وقدم البوذية على المسيحية لقدم الاولى كما قدم الموسوية على المحمدية لهذا
السبب بعينه . ومن محاسن الآية أيضاً الرمز والاشارة الى ديني الرحمة
بالفاكهة والثمرة والى ديني العدل بالجبل والبلدة الجبلية (مكة) وهي
البلد الامين . ومن التناسب البديع بين ألفاظ الآية أن التين والزيتون
ينبتان كثيراً في أودية الجبال كما في جبل الزيتون بالشام وطورسينا وهما
مشهوران بهما . فهذه الآية قسم بأول مهابط الوحي وأكرم أماكن
التجلي الالهي على أنبيائه الاربعة الذين بقيت شرائعهم للآن وأرسلهم
الله لهداية الناس الذين خلقهم في أحسن تقويم

= (شهود تاريخ يسوع) ص ٢٩٥ «ان الاسلام هو الدين العظيم الوحيد الذي
نعرف عنه باليقين أن مؤسسه كان شخصا له وجود حقيقي تاريخي » اه
وقد ذكر هذه العبارة بعد أن أظهر شكه من الوجهة التاريخية في سائر مؤسسي
الاديان الاخرى وكذلك قال العلامة توماس ويتاكر Whittaker
Thomas في كتابه « مصادر النصرانية » في صفحة ١ منه ونص
هناك على ان القرآن هو الكتاب التاريخي الوحيد دون سائر كتب
الاديان الاخرى. وغيرهما كثير من علماء الافرنج المحققين

بيان الخطأ والصواب الواقع في هذه الرسالة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٩٤	١٥	ظهوره لرسله من الجليل	ظهوره لرسله في الجليل
٩٤	١٩	فمتى ذاً	فمتى اذاً
١١٤	١٥	محتاجا لمترجمة	محتاجا لمترجمه
١١٥	١١	ففزعتا	فزعتا
١١٨	١٢	انه سيسبقهم	سيسبقهم
١٢٣	١٦	مت ٣٧	٢٧
١٣٢	١٦	حاد اليهود	آحاد اليهود
١٤٠	١	اندريس	اندريسن
١٤١	٩	اندريس	اندريسن
١٤٣	٨	فلما قال	فاذا قال
١٤٩	١٧	سيبل	سبيل
١٤٩	١٨	لمسيحيين	المسيحيين
١٥٨	١٠	مثلاع	مثلا أع








AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت